

مواقف خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم

دراسة تربوية فقهية دعوية على ضوء منهاج السلف الصالح

خميس السعيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مواقف حليفها النبي ﷺ

دراسة ترموية فقهية وعربية على ضوء مخرجات السلف الصالح

خَيْرُ السَّعِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جميع الحقوق محفوظة
All Copyrights Reserved

سجلت حقوق هذا الكتاب لشركة بيت الأفكار الدولية، طبع هذا الكتاب عام ٢٠٠٥ في لبنان، لا يجوز نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو بغير ذلك دون الحصول على إذن خطي من الناشر، وإن عدم التزام ذلك تحت طائلة المسؤولية القانونية والجزائية.

212

محمد، خميس السعيد
موافق حلف فيها النبي صلى الله عليه وسلم، دراسة لرواية دعوية من ضوء منهج المسلك الصالح / خميس السعيد محمد -
همان، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٥.

(١٩١) صفحة

و. | (٢٠٠٥ / ٢ / ٢٣٣) .

الواصفات، / الآداب الإسلامية / / الفقه الإسلامي / / الإسلام / / الثقافة الإسلامية /

ISBN 995721209-5

بيت الأفكار الدولية

الأردن

P.O.Box 927435 Amman 11190 Jordan
Tel +962 6 666 0201 Fax +962 6 666 0200

السعودية

P.O.Box 220786 Riyadh 11311 K.S.A
Tel +966 1 404 2565 Fax +966 1 403 4238

WWW

www.afkar.ws
e-mail: ideashome@afkar.ws

المؤتمن للتوزيع

السعودية

P.O.Box 69786 Riyadh 11567 K.S.A

الرياض

+966 1 243 6423 Fax +966 1 243 6421

02 6742632 مكة المكرمة

02 6873647 جدة

04 8344366 للهيئة للنورة

03 8284282 الدمام

06 3280380 القصيم

07 2208616 أبها

الإمارات

P.O.Box 32920 Sharja - U.A.E

Tel +971 6 743 8936 Fax +971 6 743 8937



الحمد لله، علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي رفع قدر العلماء، فاستشهدهم على أعظم مشهود وهو التوحيد.

وأشهد أن سيّدنا محمدًا عبده ورسوله، إمام العلماء، وسيد الأولياء، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد

فإن أعظم ميراث ورثه الأنبياء هو ميراث العلم، ولقد هيا الله لهذا الميراث من يقوم به ويبلغه للناس رغبةً في الأجر، ورفعة في القدر، ومغفرة للوزر.

ومن المعلوم أن الحاجة إلى العلم أشد من الحاجة إلى الطعام والشراب، لأن الحاجة إلى الطعام والشراب محدودة، والحاجة إلى العلم غير محدودة. ومن نحسبهم من طلاب العلم الذين واصلوا على التعلم والتعليم الأخ الفاضل/ خميس السعيد محمد، الذي كتب كتابه الموسوم بـ (مواقف حلف فيها النبي ﷺ).

وقد قرأنا بعض فصوله، فوجدته من العلم المؤصل الذي يستند على الدليل المقنع والذي تحتاجه الأمة اليوم، وقد بذل فيه جهده، وعمر به وقته، ليخرج للناس زاداً يتزودون به في سيرهم إلى الله والدار الآخرة.

ولقد أحسن الشيخ خميس السعيد في كتابه هذا، والذي بين فيه مواقف عظيمة حلف فيها النبي ﷺ وشدد فيها بيمينه حرصاً منه ﷺ على هداية أتباعه، وترغيباً لهم في الخير، فتارةً يقسم أنه ودّ أن يُقتل ثم يحيا، ثم يُقتل في سبيل الله ثم يحيا، وفي هذا ترغيباً لأصحابه على الجهاد في سبيل الله، وتارةً يحلف أنه ما يخشى الفقر على أصحابه بل يخشى أن تفتح الدنيا على أتباعه، وفي هذا تحذير لهم من مزالق الدنيا وفتنتها، وهكذا.. فهو ﷺ يحلف لمن اتبعه فيرغبهم في الخير، أو ليدفع عنهم الشر، أو ليفقههم في الدين، أو ليخبرهم نبأ من سبقهم ليتعظوا وهكذا.. أسأل الله تعالى أن تكون هذه الرسالة علاجاً لما استفحل من كثرة الحلف بلا داعية إلى ذلك، والتجرؤ على الأيمان جزافاً بلا مصلحة ظاهرة، وأن يعين الله بها ما انتشر من أيمان كاذبة والعياذ بالله.

أسأل الله تعالى أن يجزي الشيخ خميس السعيد خيراً على كتابه هذا، وأن ينفع به، وأن يجعله من العمل الخالص الباقي له بعد الموت، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

قاله وكتبه

سعد بن سعيد الحجري

الاثنين ١٤٢٥/٥/٧ هـ



الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن سلك طريقه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن شخصية الحبيب محمد ﷺ مدرسة شرعية مترامية البنيان تربى في أحضانها كل مخلص لهذا الدين. فهو ﷺ قائدنا ومربينا ومعلمنا جميع المبادئ السامية، والعلوم الشرعية النافعة، والتوجيهات النبوية الرائدة.

فلقد تربى على يديه العلماء والمربون والمصلحون، وورثوا عنه العلم النافع فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فالعلماء إذا ورثة الأنبياء.

تعلم العلماء من المنهل العذب النديّ رسول الله ﷺ تعلموا العلم من أقواله وأفعاله وتقريراته وسائر أحواله وكانوا بذلك مصاييح الدجى، ومشاعل الهدى للناس كافة.

وتربى العباد والزهاد في مدرسة الحبيب محمد ﷺ فتأثروا ببيكائه، وخوفه، وحزنه، وطول قيامه، وكثرة ذكره لربه وابتهاله، فزكت نفوسهم وخشعت جوارحهم، وسالت دموعهم، وباتوا لربهم سجداً وقياماً يرجون رحمته ويخافون عذابه.

وتعلم منه القادة والزعماء والوجهاء من سياسته الشرعية، ووفرة عقله، وفرط ذكائه في قيادة دفة الأمة، والتعامل مع الأعداء، وتأليفه لقلوبهم، وفقه التعامل مع الغير أيًا كان هذا الإنسان.

وأيضاً نال الخلق كلهم من خلقه وسمته، وحسن معاشرته الشيء الكثير، فحياته ﷺ ميدان من الميادين الثرة، بل إن ميدان حياته ﷺ يجمع كل النظم والميادين الأخلاقية والاجتماعية وقبلها الشرعية وكذا الحياتية فهو ﷺ نور، وهدى، ورحمة، وبشير ونذير ويكفي قول الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر/ الآية ٧

وكذا قوله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ النساء/ الآية ٨٠

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَٰلِمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ النجم/ الآية ٣

ونحن هنا نقطف من حياته وأقواله ﷺ قطعاً وغصناً باسقاً نهتدي بهديه، ونقتفي أثره، ونتعلم من توجيهاته، ونلزم تأكيدات التي وردت على لسانه، وهذا جانب مهم نتعلمه هنا في هذه الرسالة من حياة الحبيب محمد ﷺ.

ولا ريب أن النبي ﷺ أحرص الخلق على هداية الأمة، وهذا ما سنراه واضحاً بإذن الله في هذه الرسالة والتي جمعت فيها جانباً من جوانب قسمه وتأكيداته بحلفه العظيم لأُمَّته على أمور خُلِقُوا من أجلها، ومهام شرعية يستحثهم عليها، ويأمرهم فيها بطاعة الله تعالى، ويقرر لهم فيها العقيدة الصافية التي يجب على كل مسلم أن يدين بها، ويحيا من أجلها.

إن الكلام النبوي حديث عزيز على النفس، يجب على العباد امتثاله، والاستضاءة بنوره، والاهتداء بهديه، فإذا كان هذا الحديث النبوي مشفوعاً بقسم محمدٍ، وبيمين غضّ طري، يخرج من مشكاة

النبوة، كان امثال هذا المقرّر، والتخلق بمقتضى ما حَلَفَ عليه النبي ﷺ وأكّده بقسمه أكد وأوجب.

فعلى كل مسلم أن يتنبّه لهذه الفائدة، وأن يتأمل ملياً ما يشوّفنا إليه النبي ﷺ بهذا الأسلوب المثير للانتباه، ولا شك أن ما أولاه الحبيب ﷺ اهتماماً زائداً عن غيره لا بد وأن نوليه نحن كذلك اهتمامنا، وتقديرنا، وسرعة امثالنا.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل ما جمعته وكتبته ورتبته في ميزان حسناتي وحسنة كاملة لي عنده في حياتي وبعد وفاتي، وأن يغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ولجميع المسلمين، إنه وليّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على سيد الخلق محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو محمد

خميس السعيد محمد عبدالله

مصر/ كفر الشيخ/ الحامول

الأحد ١٤٢٥/٥/٩ هـ

٢٧/٦/٢٠٠٤ م

الفصل الأول

مقدمة مختصرة عن الحلف

و

وقفات هامة مع حلف النبي ﷺ

مقدمة مختصرة عن الحلف ووقفات هامة مع حلف النبي

ﷺ

وقفات مع حلف النبي ﷺ

الوقفه الأول: عِظَم شأن المحلوف عليه:

اعلم أخي المسلم أن النبي ﷺ إذا حلف على شيء فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظمة المحلوف عليه وخطورته وأهميته فلا بد أن تهتم بذلك الأمر الذي أقسم عليه النبي ﷺ.

فلو حلف مثلاً على حرمة دم المسلم كما سيأتي معنا في الرسالة بقوله:

«والذي لا إله غيره! لا يحل دم امرئ مسلم.. إلا...»، كان ذلك اليمين سبباً عظيماً في تحريم دم المسلم، فعلى المسلم ساعته أن يحذر كل الحذر من الوقوع في هذا الموبق الخطير.

ولو حلف مثلاً على أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن كما سيأتي أيضاً -بعون الله- كان ذلك حافزاً كبيراً على قراءة هذه

السورة العظيمة وقراءة تفسيرها والوقوف على معانيها، والامثال لأوامرها، والتسليم بمقتضاها.

وهكذا، فإن يمينه ﷺ إما يحذر العباد من أمر يخشى عليهم عاقبته، فعندئذٍ يجب علينا الحذر من مغبة الوقوع فيما حُذِّرنا منه، وإما أن يكون حلفه على أمر أو طاعة أو عمل صالح يرجو من أتباعه امتثاله والتخلق به وطاعته، وكذلك طاعة الله فيه، فيجب علينا سرعة الامتثال، لأن يمينه ﷺ على ما أكد بأمر هذه العبادة ليس بالشيء الهين.

وإما أن يكون قسمه وحلفه ﷺ لتقرير أمر ما، أو غرس عقيدة ما في نفوس أتباعه فيجب علينا كذلك الإيمان بذلك، واليقين بما نبّه عليه بقسمه؛ لأن يمينه كذلك ﷺ ليس بالأمر السهل، فلا يتسنى لنا إهمال هذه المؤكدات النبوية، لأنه ﷺ ما بُعث إلا بخيري الدنيا والآخرة، فعليك أخي أن تستحضر هذا المعنى عند كل موقف تقرأه في هذه الرسالة، وهذا يغني عن التكرار هناك وراء كل حديث حلف فيه النبي ﷺ.

الوقف الثانية: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته:

وهذه الوقفة المهمة، وتلك الفائدة الملموسة يحسها المرء إذا ما قرأ كل حديث أقسم فيه النبي ﷺ.

فأنت تشعر أن في طيات هذا القسم، همٌّ كبير، وخوف عظيم على عباد الله وأمته، فهو يرجو لهم الخير، ويخشى عليهم من العذاب، ويتمنى لهم رضى الرحمن، لذلك كان يريد ﷺ أن يثبت لهم الحقائق الشرعية ويلفت أنظارهم إليها بأي وسيلة كانت، ومن هذا المنطلق وغيره جاء يمينه وحلفه حتى يوقظ ضمائر أمته، ويستثير عزمهم إلى صراط الله المستقيم. فتذكر هذه الفائدة كذلك عند كل موقف تقرأه.

الوقف الثالثة: للمرء الحلف بدون استحلاف:

فالنبي ﷺ جاءت أيمانه بدون استحلاف من أحد، ولكنه كان يعلم أهمية الموقف الذي يحلف فيه، ويعرف عظمة ما يحلف عليه، لذا كان ﷺ لا يتهيب من ذلك، لأن له ﷺ نية صالحة فيما يحلف عليه. فهو يريد من وراء ذلك هداية الأمة بهذا التأكيد العظيم.

الوقفـة الرابعة: جواز تعدد صيغ الحلف:

وهذا مشاهد من أحوال النبي ﷺ في حلفه فنراه تارةً يحلف بقوله «والذي نفسي بيده» وأخرى يقول: «والذي نفس محمد بيده» ومرة أخرى يحلف ﷺ بقوله: «والله» وغيرها «والله الذي لا إله غيره» وأيضاً أحياناً يقول: «وأيم الله». فلا ضير في تعدد صيغ الحلف ما دام أن الحلف يكون بالله تعالى.

الوقفـة الخامسة: أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله:

إن القسم له فائدة كبيرة في تأكيد الكلام، وإعطائه أهمية كبيرة لدى المستمعين، فهو يستثير حواسهم لما سيأتي بعد هذا القسم؛ لذا استخدمه النبي ﷺ.

فعلى الدعاة أن يستخدموا هذا الأسلوب ويهتموا به، ويكون لهم في ذلك نية الاقتداء بالنبي ﷺ وتطبيق سنته، ومع ذلك ينبغي عدم الإفراط في ذلك الأمر، فبعض الدعاة يقسم ما يقرب من عشر مرات في المحاضرة أو الدرس أو الكلمة الواحدة بعد الصلاة، وهذا أمر ربما يسبب نفور البعض من هذا الإكثار. فعلى الداعية أن تستخدم هذا الأسلوب بذكاء وبطريقة توقظ الهممة وتنشط الفاتر الكسلان.

حكم اليمين وكفارته^(١)

هذه آية من سورة المائدة أود أن يحفظها ويعرف أحكامها كل مسلم، لأن الناس في أيامنا هذه يكثر منهم أن يخلفوا ويحشوا، أي لا يوفوا بما حلفوا عليه، وهنا يوقعهم الحلف في معصية الله، إن لم يعرفوا أحكام اليمين ويؤدوا ما عليهم من حقها.

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة/ ٨٨]

هذه الآية واسعة الأحكام، حتى لقد ذكر القرطبي - رحمه الله - في تفسيرها سبعة وستين مسألة، ولكني مord هنا خلاصة مركزة فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: كثرة الحلف بالله ولو صدقاً منقصة للمؤمنين، لأن الواثق بنفسه، الوازن لكلامه، العارف لمنزلته في الناس، يورد الحقائق بلا

(١) (من لطائف التفسير/ ٢٩٩-٣٠٢) أحمد فرح عقيلان، دار اليقين، المنصورة، مصر.

حلف حتى لا يكون حلفاً، وقد قرن الله جل وعلا كثرة الحلف بالمهانة، لأن الخلاف في نظر الناس محقر يستغل اسم الله استغلالاً غير مؤدب.

ثانياً: الحلف بغير الله ممنوع لأنه شرك، ومن حلف بغير الله فقد أشرك. وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحلف بالآباء وبأي شيء غير الله وصفاته مهما عظم حتى الحلف بالكعبة الشريفة، وذلك إمعاناً منه ﷺ في حماية حمى التوحيد من أي شائبة شرك.

ثالثاً: قوله تعالى: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم يعني مثل قول الإنسان أثناء مناقشة عادية: لا والله، وإي بالله، والله أوحشتنا في غيبتك، والله ما بيننا تكلف... وهكذا.

ومثل هذا اللغو يغفره الله بوسع عفوه ولا يؤاخذ صاحبه.

رابعاً: قيل في سبب نزول الآية: إن جماعة من الصحابة سمعوا خطبة عظيمة التأثير هائلة الوعيد من رسول الله ﷺ فعادوا يبيكون خطاياهم، واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون ﷺ حيث قرروا أن يهجروا لذائد الطعام، ويهجروا النساء؛ فنزلت هذه الآية والآيتان اللتان قبلها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ
 اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿ [المائدة/ ٨٦، ٨٧].

خامساً: ما كل يمين يقتضي أن تنفذه وتوفي به، فبعض الأيمان يكون الحنث بها واجباً والوفاء بها حراماً، ومثل هذه الأيمان كثيرة في هذه الأيام، ففي نوبة من نوبات الغضب وسيطرة الشيطان قد يقول رجل لامرأته: والله لا رأيت أمك بعد اليوم، أو والله لا دخلت بيت أبيك بعد الآن، أو يقول: والله لا أدخل بيت أخي ولو أن فيه ترياق الحياة، والله إن لقيت فلاناً لأضربته، أو يقول: والله لا أذوق الأكل إذا ذبحت لي ذبيحة، والله لا أدخل المسجد الذي إمامه فلان، والله إن لم تطلق امرأتك فلن أكلمك وغير ذلك من هذه الأيمان كثير.

كل هذه الأيمان حرام تنفيذها، وواجب أن تحنث بها وتكفر، لقول رسول الله ﷺ: « من حلف أن يعصي الله فلا يعصه ».

سادساً: ومن الأيمان التي لا تكفر ولكنها إثم يجب التوبة عنها ما تحلفه على ما مضى من الحوادث كأن تقول: والله اشتريت السيارة بعشرين ألفاً، وأنت قد اشتريتها بأقل أو أكثر، وكقول البائع: والله بعت أمثال هذه السلعة بمائة وهو لم يبيعها بمائة، وكقول التاجر

للزبون: والله راعيتك في هذه السلعة بعشرة ريالات وهو لم يراعه، مثل هذه الأيمان لا تكفر بمال يدفع، أو بصوم ولكن تكفر بالتوبة والإنابة والإقلاع عن الأيمان.

سابعًا: قوله تعالى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان" وقرئت: عَقَدْتُمْ الأيمان" بتخفيف القاف، وكلمة ما هنا مصدرية، فيكون المعنى ولكن يؤاخذكم بعقدكم الأيمان أي بالأيمان المقترنة بنية التنفيذ كأنها إبرام عقد فهذه التي تستوجب الكفارة.

ثامنًا: اليمين الغموس هي التي يحلفها الإنسان وهو بها كاذب لكي يأكل مال أخيه بغير حق، كما يفعل أحد المتخاصمين حين يحلف كاذبًا ليأكل حق الآخر، وكما يحلف التاجر كاذبًا ليكسب ربحًا طائلا بالحرام.

وهذه اليمين في أصح الأقوال ليس لها كفارة من صدقة أو صوم لكنها من أكبر الكبائر لما روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سأل أعرابي عن أكبر الكبائر فقال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس» وهذه اليمين لا كفارة لها إلا التوبة الصادقة، وإرجاع ما اقتطع بها من الحقوق إلى أصحابها.

تاسعاً: من حلف قائلاً: أكون خارجاً من الإسلام إذا كلمت فلاناً، فعليه أن يكلمه وعليه الكفارة، وعليه التوبة النصوح عن مثل هذا اليمين الذي تقشعر له أبدان العقلاء.

عاشراً: اليمين يجوز فيه التذكير والتأنيث فتقول: كفر عن اليمين الذي حلفته، كفر عن اليمين التي حلفتها.

أحد عشر: قوله تعالى: "فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم" يقتضي أن تجمع عشرة مساكين فتطعمهم وجبتين أو أن تحمل الطعام إلى بيوتهم.

وقد يسأل كثير من الناس: إن الفقراء في هذه الأيام بفضل الله قلائل جداً ويصعب جمعهم للطعام، والجواب: أنه يمكن أن يرسل إلى عشرة من الفقراء كل واحد عشرة ريالات كما يمكن أن يعطى بعض العائلات المستورة أو الأيتام بعض السكر والأرز والسمن والمأكولات المعلبة.

اثنا عشر: كلمة أهليكم جمع أهل وهو ملحق بجمع المذكر السالم ويعرب إعرابه، وكلمة كسوة تقرأ بكسر الكاف وضمها، وعلى من يريد الكفارة أن يطعم المساكين من أحسن ما يطعم أهله أو يكسو كل فرد منهم الكسوة الشائعة في المجتمع كما يكسو نفسه أو أحد أولاده.

ثلاثة عشر: لا تعطى الكفارة لغني، ولا يكفي أن يطعم المكفر جيرانه، كما لا يجوز أن يصرفها إلى أرحامه الذين تجب عليه إعالتهم، ولا يجب إعطاؤها إلى مسكين واحد دفعة واحدة، فمن الأحسن أن يكون جزء للمساكين وجزء للفقراء وجزء للأيتام.

أربعة عشر: إذا مات الحالف ولم يكفر وجب إخراج الكفارة من رأسماله قبل قسمة التركة.

خمسة عشر: من لم يستطع الكفارة يصوم ثلاثة أيام متتابعات أو غير متتابعات على خلاف بين الأشياخ.

سنة عشر: قوله تعالى: واحفظوا أيمانكم أي احترسوا ولا تكثروا الحلف ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم وإذا حلفتُمْ فاحفظوها بالكفارة السريعة الوافية.

اللهم ارزقنا الإيمان بك والوفاء بعهدك، والعمل بكتابك وسنة نبيك.

التورية في اليمين

التورية في اليمين تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول

أن يكون الحالف ظالماً، مثل: أن يحلف على حق للغير، فهنا لا تنفعه التورية وتكون يمينه على نية المُستَحْلِف، وقد حكى الإجماع على هذا.

قال النووي رحمه الله:

فإذا ادعى رجل على رجل حقاً فحلّفه القاضي وورى فنوى غير ما نوى القاضي انعقدت يمينه على ما نواه القاضي، ولا تنفعه التورية، وهذا مجمع عليه. اهـ

والظالم لا تنفعه التورية لما رواه أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «اليمين على نية المستحلف»^(١).

ولحديث ابن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان»^(٢).

وهذا يشمل الظالم المتأول وغير المتأول، ولأن الظالم لو نفعته التورية لبطلت الفائدة المرجوة من اليمين.

(١) مسلم: كتاب الأيمان، باب: اليمين على نية المستحلف رقم (٤٦٠).
(٢) مسلم: كتاب الأيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة رقم (٣٥١).

القسم الثاني

أن يكون الحالف مظلوماً مثل أن يحلف أمام ظالم يريد أن يظلمه في بدنه أو عرضه، أو ماله، أو يظلم غيره، فيوري في يمينه فتتفعه التورية. أو يترتب على التورية ضرورة أو مصلحة متعديّة، كالتورية لإنجاء معصوم أو لإصلاح بين متخاصمين أو زوجين، أو في حال الحرب ونحو ذلك، ولقد فعل ذلك إبراهيم عليه السلام وهذا مشهور عنه.

وكذلك النبي ﷺ قال أنس رضي الله عنه: أقبل النبي ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف، ونبي الله شاب لا يعرف قال: ويتلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير^(١).

ولما رواه سويد بن حنظلة قال: خرجنا نريد رسول الله ﷺ ومعنا وائل بن حجر، فأخذه عدو له فتخرج القوم أن يحلفوا وحلفت أنه أخي، فخلّى سبيله. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرته بأن القوم تخرجوا أن يحلفوا وحلفت أنه أخي، قال:

(١) البخاري: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه رقم (٣٩١١).

«صدقتم! المسلم أخو المسلم»^(١) وفي رواية: «أنت كنت أبرهم وأصدقهم.. المسلم أخو المسلم»^(٢)

القسم الثالث

إذا لم يكن الحالف ظالماً ولا مظلوماً، ولم تترتب على التورية ضرورة أو مصلحة متعديّة.

فاختلف العلماء رحمهم الله في التورية في هذه الحال والراجح عدم جواز التورية في هذه الحال لما لليمين من حرمة إلا للضرورة. واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله^(٣).

(١) صحيح: رواه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب: المعارض في اليمين، رقم (٣٢٥٦) وصححه الألباني بهذا الرقم طبعة بيت الأفكار.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦٢٢/٤).

(٣) (أحكام اليمين بالله ﷻ ٣٠٤-٣١١) باختصار د/ خالد المشيقح، دار ابن الجوزي، للنمام.

الفصل الثاني

مواقف حلف فيها النبي



مواقف حلف فيها النبي

ﷺ

مَبْنَد

انظر أخي المسلم إلى هذه المواقف التي حلف فيها النبي ﷺ وتأمل فيها جيداً، فسترى أن لكل موقف حلف فيه النبي ﷺ عظمة وأهمية ينبغي على المسلم أن يقف عنده ويتفكر فيه.

فالتأكيد بالقسم من الأمور الدعوية المهمة والتي ينبغي لكل داعية أن يتفطن له، وأن يستعمله في مكانه اللائق، ويكون له في ذلك نية الاقتداء بالحبيب ﷺ.

وعلى من يكثر من الحلف في كل وقت بلا سبب حتى تراه ينطلق كالسهم في الحلف بلا تفكير، ودون أدنى أهمية عليه أن يهتم بنفسه، وينزه لسانه عن هذه الثثرة والتجّزؤ على لفظ الجلالة (الله) وأن يضع هذا اليمين في محله اللائق به، كأن يُتهم في غرض فيبرئ نفسه، كما قال النبي ﷺ: «فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً» وكان يدلّ إخوانه على خير، سواء أكان يرغبهم في الجنة، أو يحذرهم من

النار، أو يرهبهم من فتنة الدنيا، أو يخوفهم من سكرات الموت، أو عذاب القبر.

فلو أقسم على أمر من هذه الأمور لكان ذلك محمودًا له، مكتوبًا في سجل حسناته إن شاء الله.

وعليك أخي أن تتنبه لكل أمر حلف فيه النبي ﷺ، فلا بد أنه من الأمور العظيمة، ومن الفوائد النادرة، ومن الحكم الباهرة، ومن الدروس النافعة، ومن المواضع الماتعة، فتأمل فيها، واستخرج دررها وفوائدها، وانظر في حكمها وأسرارها، واحمد الله أن وفقك إليها، لتتهدي بهديها، وتسير على دربها، وتستنير بنورها.

فالموفق والله من وفقه الله، والمخذول من خذله الله، نسأله التوفيق والسداد، والهداية إلى طريق الرشاد.

أفشوا السلام بينكم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء/ ٨٦]

قال السعدي رحمه الله:

التحية هي اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها.

وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع، من السلام ابتداءً وردًا، فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها لفظًا وبشاشة أو مثلها في ذلك، ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أو ردها بدونها.

ويؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين:

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعًا.

الثاني: ما يستفاد من أفعل التفضيل، وهو "أحسن" الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك. أهـ

أقسم النبي ﷺ على أننا لن ندخل الجنة حتى نؤمن وأننا لن نؤمن حتى نتحاب، وأن التحاب يكون بإفشاء السلام بيننا.

إذا إفشاء السلام سبب لدخول الجنة لأنه يصفى النفوس بل وينزع البغضاء والشحناء من القلوب.

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا: ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»^(١)

يقسم الرسول ﷺ بمن نفسه بيده وهو: الله سبحانه على ثلاث قضايا:

الأولى: دخول الجنة بالإيمان.

الثانية: الإيمان بالتحاب.

الثالثة: إفشاء السلام سبيل التحاب، وإيثار هذه الصفة في القسم زيادة تأكيد لصدقه ﷺ فيما أقسم عليه، وبيان لعظمة المقسم به وسلطانه على المقسم.

(١) مسلم: كتاب الإيمان، بال: بيان أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون... رقم (١٩٢) (١٩٣) (نوي/٢/٢٢٤، ٢٢٥).

*** ما يستفاد من الحديث:**

- ١- تعليق كمال الإيمان على المحبة في الله للدلالة على أهميتها.
- ٢- صلاح العباد فيما بينهم لا يكون إلا بالحب في الله.
- ٣- لن يدخل الجنة أحد إلا بالإيمان.
- ٤- فيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرف منهم ومن لم يعرف.
- ٥- السلام أول أسباب التأليف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم.
- ٦- السلام شعار أهل الإسلام الذي يتميزون به عن غيرهم من الأمم.
- ٧- تعويد النفس على التواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان وإعظام حرمة المسلمين. فقد روى البخاري في (صحيحه) تعليقاً عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: "ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار".

٨- بذل السلام فيه رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات
البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا ينبع من هواه، ولا
يخص أصحابه وأحبابه به^(١).

٩- الحديث رد على الذين يقسمون الدين إلى قشر ولباب، إذ أن
السلام عندهم قشور لا ينبغي التدقيق عليه ولا الوقوف
عنده كثيراً، لأن في الأمة أموراً تشغلها أعظم منه، وقد علّق
دخول الجنة بالإيمان والإيمان معلق بالسلام، فهو حجة دامغة
لوهمهم وقلة فهمهم^(٢).

١٠- ينبغي أن يكون الحب في الله ولله، وهذا هو الذي يثمر
الإيمان، ويثمر المحبة الصادقة، والتقوى النافعة قال تعالى:

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

[الزخرف/ الآية ٦٧]

فالخلة التي أساسها التقوى والإيمان هي التي تورق شجرة
التواصل والمحبة التي تدوم في الدنيا والآخرة، بخلاف المحبة
الوهمية التي تُبنى على المصالح والمنافع المادية، فهذه سرعان ما
تزول وتنتهي، بل وفي كثير من الأحيان تنقلب إلى عداوة في

(١) (شرح النووي على صحيح مسلم/٢/٢٢٤، ٢٢٥).
(٢) (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين/٢/١٢٩) سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، الدمام.

الدنيا ظاهرة يعلمها الجميع، وهي في الآخرة عداوة أكيدة طالما فرغت من مضمونها الشرعي الذي حث عليه الحبيب ﷺ.

شقيّ أو سعيد

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج/ ٥٠]

قال الجزائري حفظه الله:

فقال: يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ أَي: في شك وحيرة وقلق نفسي من شأن بعث الناس أحياء من قبورهم بعد موتهم وفنائهم لأجل حسابهم ومجازاتهم على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا، فالإيكم ما يزيل شككم ويقطع حيرتكم في هذه القضية العقدية وهو أن الله تعالى قد خلقكم من تراب، أي خلق أصلكم وهو أبوكم آدم من تراب وبلا شك، ثم خلقكم أنتم من نطفة أي ماء الرجل، وماء المرأة وبلا شك، ثم من علقه بعد تحول النطفة إليها، ثم

من مضغة بعد تحول العلقه إليها، وهذا بلا شك أيضاً، ثم المضغة إن شاء الله تحويلها إلى طفل خلقها وجعلها طفلاً، وإن لم يشأ ذلك لم يخلقها وأسقطها من الرحم كما هو معروف ومشاهد. اهـ

وفي هذا الموقف التالي يقص علينا رسول الله نبأ هذا التخليق أيضاً، ثم يتطرق إلى أمر آخر غاية في الخطورة، ويحلف عليه ويؤكد ذلك بقسمه ويمينه، فإلى هذا الموقف العظيم.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسلُ إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(١)

(١) البخاري: كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (٣٢٠٨)

صدق الصادق المصدوق محمد ﷺ! لأن مثل هذه الأمور لا يمكن له ﷺ أن يعلمها إلا إذا أخبره الله بذلك لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم/ الآية ٤]

وهذه الحقائق والتي فيها تقدير المدة من انتقال من طور إلى طور آخر كُشِفَ عنها النقاب في هذا العصرالذي تقدمت فيه العلوم الحديثة إلى حدٍّ لا يخطر ببال أحد، وأثبتت حقيقة هذا الإعجاز النبوي والذي أخبر به رسول الله ﷺ منذ أكثر من ألف عام.

وهذا يدل دلالة قاطعة على صدقه ﷺ في جميع ما أخبر به وكذلك هذا الحديث علم من أعلام نبوته من هذا الجانب، كذلك من جانب آخر وقد جاء في رواية أخرى قصة الرجل الذي كان مع النبي ﷺ في غزوة من غزواته عليه الصلاة والسلام، وكان هذا الرجل لا يدع شاة ولا فاقة للعدو إلا قضى عليها، فتعجب الناس منه وقالوا: هذا الذي كسب المعركة، فقال النبي ﷺ: «هو من أهل النار» فعظم ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، كيف يكون هذا الرجل من أهل النار؟

فقال رجل: لألزمه، أي: أتابعه، فأصيب هذا الرجل الشجاع المقدام بسهم من العدو فجزع، فلما جزع سل سيفه -والعياذ بالله- ثم وضع ذبابة سيفه على صدره ومقبضه على الأرض، ثم اتكأ عليه حتى خرج من ظهره، فقتل نفسه.

فجاء الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره وقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «بم» قال: إن الرجل الذي قلت فيه إنه من أهل النار حصل منه كذا وكذا. فقال النبي ﷺ بعد ذلك: «إن الرجل لعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار».

* ما يستفاد من الحديث

- ١ - حسن أسلوب عبدالله بن مسعود ؓ.
- ٢ - أنه ينبغي للإنسان أن يؤكد الخبر الذي يحتاج الناس إلى تأكيده بأي نوع من أنواع التأكيدات.
- ٣ - تأكيد الخبر بما يدل على صدقه لقول عبدالله بن مسعود ؓ: (وهو الصادق المصدوق).
- ٤ - أن الإنسان في بطن أمه يجمع خلقه على هذا الوجه الذي ذكره النبي ﷺ.
- ٥ - أنه يبقى نطفة لمدة أربعين يوماً.

- ٦- حكمة الله ﷻ في أطوار الجنين من النطفة إلى العلقة.
- ٧- أهمية الدم في بقاء حياة الإنسان، ووجهه: أن أصل بنى آدم بعد النطفة العلقة، والعلقة دم، ولذلك إذا نَزَف دم الإنسان هلك.
- ٨- أن الطور الثالث هي المضغة، هذه المضغة تكون مخلقة وغير مخلقة بنص القرآن كما قال الله تعالى: ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة [الحج/٥].
- لكن ما الذي يترتب على كونها مخلقة أو غير مخلقة؟
- الجواب يترتب عليها مسائل:
- أ- لو سقطت هذه المضغة غير مخلقة لم يكن الدم الذي يخرج نفاساً، بل دم فساد.
- ب- ولو سقطت هذه المضغة قبل أن تتخلق وكانت المرأة في عدة لم تنقض العدة لأنه لا بد في قضاء العدة أن يكون الحمل مخلقاً، ولا بد لثبوت النفاس من أن يكون الحمل مخلقاً، لأنه قبل التخليق يحتمل أن تكون قطعة لحم فقط وليست آدمياً، فلذلك لا نعدل إلى إثبات هذه الأحكام إلا بيقين بأن يتبين فيه خلق إنسان.

٩- أن نفخ الروح يكون بعد تمام أربعة أشهر، لقوله: « ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ».

وينبني على هذا:

أ- أنه إذا سقط بعد نفخ الروح فيه، فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ويسمى ويعق عنه، لأنه صار آدمياً إنساناً فيثبت له حكم الكبير.

ب- أنه بعد نفخ الروح فيه يحرم إسقاطه بكل حال، فإذا نفخت فيه الروح فلا يمكن إسقاطه، لأن إسقاطه حينئذ يكون سبباً لهلاكه، ولا يجوز قتله وهو إنسان.

فإن قال قائل: رأيتم لو كان إبقاؤه سبباً لموت أمه، أفيلقى وتبقى حياة الأم، أو يبقى وتهلك الأم ثم يهلك الجنين؟

فالجواب: نقول: ربما أهل الاستحسان يقولون بالأول، ولكن لا استحسان في مقابلة الشرع. فنقول: الثاني هو المتعين، بمعنى أنه لا يجوز إسقاطه حتى لو قال الأطباء: إنه إن بقي هلكت الأم، وقد يحتاج من يقول بإسقاط الجنين بأنه إذا هلكت الأم هلك الجنين فيهلك نفسان، وإذا أخرجناه هلك الجنين لكن الأم تسلم.

والجواب على هذا الرأي الفاسد أن نقول:

أولاً: قتل النفس لإحياء نفس أخرى لا يجوز، فنقول: أننا لو أسقطنا الجنين فهلك فنحن الذين قتلناه، ولو أبقيناه فهلكت الأم ثم هلك هو، فالذي أهلكهما هو الله ﷻ أي ليس من فعلنا.

ثانياً: لا يلزم من هلاك الأم أن يهلك الجنين لا سيما في وقتنا الحاضر، إذ من الممكن إجراء عملية سريعة لإخراج الجنين فيحيا.

وأيضاً: نقول لو أنه مات هذا الجنين في بطن أمه من عند الله ﷻ لا يلزم أن تموت هي، فيُخرج لأنه ميت وتبقى الأم.

الخلاصة: أنه إذا نفخت فيه الروح فإنه لا يجوز إسقاطه بأي حال من الأحوال.

١٠ - عناية الله تعالى بالخلق حيث وكل بهم وهم في بطون أمهاتهم ملائكة يعتنون بهم ووكل بهم ملائكة إذا خرجوا إلى الدنيا، وملائكة إذا ماتوا، كل هذا دليل على عناية الله تعالى بنا.

١١ - أن الروح في الجسد تُنفخ نفخاً ولكن لا نعلم كيفية، وهذا كقوله تعالى:

﴿وَمَرِّمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِكْرَامٌ﴾ [التحریم/ ۱۲]
لكن لا ندري كيف هذا؟ لأن هذا من أمور الغيب.

۱۲- قوله ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها إلا ذراع» أي حتى يقرب أجله تمامًا، وليس
المعنى حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع في مرتبة العمل، لأن
عمله الذي عمله ليس عملاً صالحاً كما جاء في الحديث:
«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو
من أهل النار».

لأنه أشكل على بعض الناس: كيف يعمل بعمل أهل الجنة
حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل أهل النار فيدخلها. فنقول: عمل بعمل أهل الجنة فيما
يبدو للناس، ولم يتقدم ولم يسبق، ولكن حتى ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع أي يدنو أجله، أي أنه قريب من الموت، «فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل أهل النار» فيدع العمل الأول الذي كان

يعمله، وذلك لوجود دسياسة في قلبه -والعياذ بالله- هوت به إلى الهاوية.

أقول هذا لثلاث يظن بالله ظن السوء: فوالله ما من أحد يقبل على الله بصدق وإخلاص، ويعمل بعمل أهل الجنة إلا لم يخذله الله أبدًا، فالله ﷻ أكرم من عبده، لكن لا بد من بلاء في القلب.

١٣- أن الروح جسم، لأنه ينفخ فيحل في البدن.

ولكن هل هذا الجسم من جنس أجسامنا الكثيفة المكونة من عظام ولحم وعصب وجلود؟

الجواب: لا علم للبشر بها، بل نقول كما قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء/ ٨٥].

١٤- أن الملائكة عليهم السلام عبيد يؤمرون وينهون لقوله:

«فيؤمر بأربع كلمات» والأمر له هو الله ﷻ.

١٥- أن هذه الأربع مكتوبة على الإنسان؛ رزقه، وأجله، وعمله،

وشقي أو سعيد، ولكن هل معنى ذلك أن لا نفعل الأسباب التي يحصل بها الرزق؟

الجواب: بلى! نفعل، وما نفعله من أسباب تابع للرزق.

١٦- أن الملائكة يكتبون.

فلو قال لنا قائل: بأي حرف يكتبون، هل يكتبون باللغة العربية، أم باللغة السريانية، أو العبرية، أو ما أشبه ذلك؟

فالجواب: السؤال عن هذا بدعة، علينا أن نؤمن بأنهم يكتبون، أما بأي لغة فلا نقول شيئاً.

هذه الكتابة.. هل هي في صحيفة، أو تكتب على جبين الجنين؟

الجواب: هناك آثار تدل على أنها تكتب على جبين الجنين، وآثار على أنها تكتب في صحيفة، والجمع بينهما سهل: إذ يمكن أن تكتب في صحيفة ويأخذها الملك إلى ما شاء الله، ويمكن أن تكتب على جبين الإنسان.

١٧- أن الإنسان لا يدري ماذا كتب له ولذلك أمر بالسعي لتحصيل ما يفعله وهذا أمر مسلم، فكلنا لا يدري ما كتب له، ولكننا مأمورون أن نسعى لتحصيل ما ينفعنا وأن ندع ما يضرنا.

١٨- أن نهاية بني آدم أحد أمرين:

إما الشقاء وإما السعادة.

قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [مرد/١٠٥]

وقال تعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ [التغابن/ ٢]

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من أهل السعادة إنه سميع قريب.^(١)

مالي وللدنيا

خلق الله ﷻ الإنسان، وجعله خليفة في هذا الكون يعمره وينتفع بكل ما فيه وفق منهج رسمه له، وأرسل من أجل هذا المنهج النبيين مبشرين ومنذرين وسخر له كل ما يعينه على أداء دوره وواجهه من شمس وقمر، ونجوم، وجبال، وشجر، ودواب، وأرض وسماء وماء وهواء... الخ وحدد له أجلاً معيناً يحقق فيه ما طلب منه، ثم جعل له داراً أخرى -غير هذه الدار- يلقي فيها جزاء عمله من ثواب وعقاب، وجنة ونار، وما على العاقل -بعد ما تقدم- إلا أن يلقي الدنيا عن كاهله، وأن يطرحها وراءه

(١) (شرح الأربعين النووية/ ٨٣-٩٥) لابن عثيمين، باختصار، دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤٢٤ هـ

ظهيرًا، واضعًا نصب عينيه الآخرة التي هي دار القرار، وما قرب إليها من قول وعمل.

وإذا كان له أن يأخذ حظه من الدنيا فليكن ذلك بقدر، ووفقًا للمنهج الذي ارتضاه الله ﷻ لنا دينًا، ولثلا يطمئن الناس إلى الدنيا ويركنوا إليها، تاركين العمل للآخرة^(١)

وحتى يتضح لك هذا المعنى، ويرتكز في ذهنك هذا المفهوم فاقراً بتمعن هذا الحديث الآتي:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً فقال: «مالي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(٢). وفي رواية: «والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب».

بين النبي ﷺ عمر الدنيا في جنب الآخرة، وأنه لا يعدو أن يكون ساعة من نهار، وحتى تستقر هذه الحقيقة في النفوس، ساق

(١) (توجيهات نبوية على الطريق/ ٢٢) د/السيد محمد نوح، دار اليقين، مصر، المنصورة، ١٤١٨ هـ.
(٢) صحيح: رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب: ٤٤ "بنون" رقم (٢٣٧٧) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني بالرقم السابق.

النبي ﷺ حديثه هنا على طريق المثل فقال: ليس لي تعلق بالدنيا، وليس للدنيا تعلق بي، وكيف أتعلق بالدنيا وتتعلق الدنيا بي؟!

وما مثلي ومثلها إلا كمسافر ركب مطيته وسار في يوم هجير شديد قيظه، فلما اشتد به التعب نزل، فقال تحت شجرة فترة وجيزة لا تتجاوز الساعة ريثما ابتلع أنفاسه، وعاد إليه نشاطه، ثم راح وترك الشجرة مستأنفاً السير من جديد ليصل إلى نهاية رحلته.^(١)

* ما يستفاد من الحديث:

١- زهد الحبيب ﷺ فعلينا الاقتداء.

فها هو ﷺ ينام على الحصير حتى أثر في جنبه، ويرفض أن يجعل له أصحابه فراشاً لئلا بينه وبين الأرض حتى يحمي جنبه ويقول لهم مالي وللدنيا!

فصلى الله عليك أيها النبي، ماذا لو رأيت ما فُتح علينا من الدنيا وخلودنا إليها، وحزننا على ما روي عنا منها؟ ماذا كنت تقول؟!

٢- التركيز على الأمثال في الدعوة والتربية:

(١) (توجيهات نبوية على الطريق/ ٢٢)

لأنها تدفع عن الإنسان السأم والملل، وأيضاً تبرز له المعنى المعقول في صورة المحسوس المرئي فيتمكن من النفس ولا ينسى أبداً.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [النكبات/٤٣]

٣- الصبر على متاعب الحياة وآلامها حتى نلقى الله:
وقد ألمح النبي ﷺ إلى هذه الفائدة التربوية الدعوية، حين شبه نفسه بمسافر فركب مطيته في يوم هجير شديد الحر، فلما اشتد به التعب نزل فاستراحت ساعة ثم استأنف المسير متحملاً مشاق الرحلة ليعود إلى بيته وداره.

وكذلك المسلم في الدنيا يلاقي كثيراً من المشاق والمتاعب، بل كثيراً ما يتعرض للمحن والبلايا، وواجهه أن يصبر، وأن يستعين بالله، وكلما اشتد به التعب استراح قليلاً ثم استأنف الطريق حتى يلقي ربه مؤمناً صابراً محتسباً.

٤- التزهيد في الدنيا:

والتحذير من الركون إليها، والاطمئنان بها مع الغفلة عن لقاء الله والدار الآخرة، لأن الدنيا ليست بدار قرار.

ومن هنا جاء على لسان مؤمن آل فرعون:

﴿يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ

دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر/ ٣٩]

وقال الله لنبيه محمد ﷺ:

﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء/ ٧٧]

﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [براءة/ ٣٨]

والله لولا أنت ما اهتدينا

قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ
وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب/ ٩-١١]

قال العلامة السعدي رحمه الله:

يذكر تعالى عباده المؤمنين نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود أهل مكة والحجاز من فوقهم، وأهل نجد من أسفل منهم، وتعاقدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق. ومالأتهم طوائف اليهود الذين حوالى المدينة، فجاءوا بجنود عظيمة، وأمم كثيرة.

وخندق رسول الله ﷺ على المدينة، فحاصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة مدة طويلة، والأمر كما وصف الله:

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه ولا يتم كلمته.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بهذه الفتنة العظيمة: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا

شَدِيدًا﴾ بالخوف والقلق والجوع ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر -والله الحمد- من إيمانهم وشدة يقينهم ما فاقوا فيه الأولين والآخرين. وعندما اشتد الكرب، وتفاقت الشدائد، صار إيمانهم

عين اليقين، ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب/ الآية ٢٢]. أهـ

ورغم هذه الشدائد العظيمة التي أحيقت برسول ﷺ وصحابته الكرام إلا أنه ﷺ لم يخرج عن سجيته المعروفة، وشمائله المعلومه من تعاونه مع صحابته وتواضعه الذي حمله على مشاركتهم في صد العدو بالأسباب المتاحة من حفر الخندق معهم ومشاركتهم في حمل التراب والحجارة وغير ذلك مما يوحى بكمال خصاله، وتفرد خلال، ورسوخ أخلاقه العظيمة في جميع الأحوال، وكل الأطوار.

عن البراء رضي الله عنه قال: "رأيت رسول ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره -وكان رجلا كثير الشعر- " وفي رواية: "كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبر بطنه وهو يرتجز برجز عبدالله بن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأعداء قد بغوا علينا	إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته^(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدّية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيرًا أهيل أو أهييم^(٢)... وفي رواية: «والله لولا أنت ما اهتدينا»^(٣).

لقد كان بإمكانه ﷺ أن يبقى في حصن منيع وأن يتخذ لنفسه حرسًا، وما أكثر الذين يفدونهم بأرواحهم من أصحابه، ولو فعل ذلك لم يعترض عليه أحد، ولرأى الصحابة أن ذلك من حقه وأن من واجبهم أن يقوموا بحمايته، وأن يتولوا حماية المدينة بحفر الخندق.

ولكنه ﷺ قدوة عليا لأمته فهو دائمًا يسابق أصحابه إلى البذل والتضحية، ولا يوفر نفسه من الأعمال الشاقة. إن مشاركة النبي ﷺ بنفسه في حفر الخندق مع أنه زعيم المسلمين وإمامهم وبين قوم يفدونهم بأرواحهم لمن أقوى الأدلة على صفاته التربوية العالية وخلود عظمته عبر الأجيال. فلم يجعل من نفسه زعيمًا دنيويًا يُصدر الأوامر

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: حفر الخندق، رقم (٢٨٣٥) ويُنظر هناك أطراف هذا الحديث.

(٢) كثيرًا: أي رملا، كثيرًا أهيل أو أهييم: أي صار رملا يسيل ولا يتماسك.

(٣) البخاري: كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم (٤١٠١).

والنواهي وهو في معزل من عامة الناس بل شاركهم في السراء والضراء، يشبع إذا شبعوا ويجوع إذا جاعوا، ويعمل في المصالح العامة كما يعملون وما هذا إلا مثل من أمثلة كثيرة لتواضعه وسلوكه التربوي العالي ﷺ^(١)

* ما يستفاد من الحديثين

١ - التواضع:

إن من أعظم الصفات الحميدة التواضع، وقد دل هذان الحديثان على هذه الصفة لأن النبي ﷺ أفضل البشر، وسيد ولد آدم ﷺ ومع ذلك يحفر مع أصحابه الخندق ويواري التراب بطنه، ويربط الحجر على بطنه من الجوع.

قال الإمام ابن أبي جرة رحمه الله:

وفيه دليل على تواضع النبي ﷺ وحسن خلقه، إذ أنه في الفضل حيث هو، ومع ذلك الفضل العظيم كان ينقل التراب مع أصحابه، كأنه واحد منهم. اهـ

(١) (التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ١٠٧/١٠٧) د/ عبدالعزيز الحميدي.

٢- الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل:

ولهذا عمل النبي ﷺ بفعل الأسباب وهو إمام المتوكلين، فحفر الخندق وحمل التراب، وأمر أصحابه بذلك.

وكان النبي ﷺ يأخذ بالأسباب ويأمر بفعلها، ويستعين بالله ﷻ وبعد الفراغ من الأسباب لا يعتمد عليها بل يعتمد بقلبه على الله ﷻ.

٣- الحث على أخذ الحذر والأهبة لصد أعداء الإسلام.

ولهذا عمل النبي ﷺ بنفسه مع أصحابه، وحفروا الخندق، وتأهبوا لقتال عدوهم وصدده، وأخذوا الحذر منه.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ

أَوْ أَنفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء/ ٧١]

٤- الصبر وتحمل المشاق:

دل الحديثان على صبر ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم على مشاق الدعوة والاستعداد لقتال أعداء الإسلام، ولهذا صبروا على الجوع، والتعب في حفر الخندق، ونقل التراب على ظهورهم.

فينبغي الصبر والمصابرة على مشاق الدعوة والجهاد في سبيل الله ﷻ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠]

٥- الزهد:

دل الحديثان على زهد النبي ﷺ وأصحابه في الدنيا، وإيثارهم ما عند الله تعالى على ملذاتها، ولهذا قال ﷺ -كما جاء في رواية أخرى للحديث- «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».

فالعيش الباقي والدائم المعتبر والمستمر، والمطلوب هو عيش الآخرة، وأما عيش الدنيا فإنه متاع زائل.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي هذين الحديثين إشارة إلى تحقير عيش الدنيا لما يعرض له من التكدير وسرعة الفناء. اهـ

٦- إنشاد الشعر الممدوح والرجز:

لا شك أن إنشاد الشعر الممدوح، والرجز الممدوح من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، ولهذا فعله عليه الصلاة والسلام في حفر

الخنديق مع أصحابه، وهذا الرجز منسوب إلى عبدالله بن رواحة
ﷺ.

قال العلامة العيني رحمه الله:

وفيه استعمال الرجز والشعر إذا كانت فيه إقامة النفوس،
وإثارة الأنفة والمعرفة. اهـ

٧- التسلية والتنشيط عند الشدائد والحرب:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وفيه أن إنشاد الشعر تنشط في العمل، وبذلك جرت عادتهم
في الحرب وأكثر ما يستعملون في ذلك الرجز. اهـ

وقال أيضاً: الرجز من محور الشعر على الصحيح، وجرت
عادة العرب باستعماله في الحرب، ليزيد في النشاط ويبعث الهمم.
اهـ

٨- القدوة الحسنة:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

في مباشرته ﷺ الحفر بنفسه تحريض للمسلمين على العمل
ليتأسوا به في ذلك. اهـ

٩- رفع الصوت في الخطب والمواظ:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وفيه جواز رفع الصوت في عمل الطاعة لينشط نفسه وغيره.

اهـ

١٠- إعانة الإمام لأصحابه:

قال الإمام ابن أبي جمرة رحمه الله:

وفيه دليل على أن الإمام ينزل للخدمة مع أصحابه، إذا كانوا

في أمور الحرب وإعانتهم فيما هم بسبيله. اهـ

١١- من أساليب الدعوة: التأكيد بالقسم:

لقوله ﷺ:

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فينبغي للداعية أن يستخدم هذا الأسلوب عند الحاجة، لأنه يثبت المعاني في القلوب ويحملها على التصديق.

١٢- الاستفادة مما عند الآخرين:

فقد ذكر كثير من العلماء أن سبب حفر الخندق مشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق لأن سلمان قال: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا.^(١)

(١) راجع (فتح الباري/٢/١٨١٣-١٨٢٢) طبعة بيت الأفكار (زاد المعاد/٣/٢٤٠-٢٤٦) (فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري/١/٢٨٥-٢٩٧) باختصار وتصرف د/ سعيد بن وهف القحطاني.

مشاهد ومواقف وعبر ومعجزات في تلك الغزوة العصية

١- وقت الغزوة وسببها

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلاف أن أحدًا كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول الله ﷺ في العام المقبل وهو سنة أربع ثم أخلفوه لأجل جذب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه، هذا قول أهل السير والمغازي. اهـ^(١)

٢- معجزات للرسول ﷺ في غزوة الأحزاب:

أ- إبطاره قصور الملوك وإعطاؤه مفاتيح ملكهم:

عن البراء بن عازب ؓ قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكيننا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال:

«بسم الله» فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة»، ثم

(١) (زاد المعاد/٣/٢٤٠)

ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر، فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض» ثم ضرب الثالثة، وقال: «بسم الله» فقطع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة»^(١)

ب- تكثيره للطعام:

عن جابر رضي الله عنه قال: لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً^(٢) فانكفأت^(٣) إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة^(٤) داجن^(٥) قال: فذبحتها وطحنت، ففزعت إلى فراغي، فقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، قال: فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معك، فصاح

(١) حسن: أخرجه أحمد في المعتمد (٣٠٣/٤) والنسائي في الجهاد، باب: غزوة الترك، وحسنه الألباني عند النسائي رقم (٣١٧٦) طبعة بيت الأفكار الدولية، وحسن إسناده الحافظ في الفتح في غزوة الأحزاب كتاب المغازي، حيث قال: ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن عن البراء فذكر الحديث، وللحديث شواهد من حديث ابن عباس عند الطبراني كما قال الهيثمي في المجمع (١٣١/٦-١٣٢).

(٢) خمصاً: خلاء البطن من الطعام.

(٣) انكفأت: فرجعت وانقلبت.

(٤) البهيمة: السخلة الصغيرة من ولاد الماعز.

(٥) داجن: ما ألف البيوت.

رسول الله ﷺ وقال: «يا أهل الخندق! إن جابراً قد صنع لكم سوراً^(١) فحيهلاً بكم».

وقال رسول الله ﷺ: «لا تنزلن برمتكم ولا تحبزن عجيتكم حتى أجيء».

فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي. فقالت: بك وبك^(٢) فقلت: قد فعلت الذي قلت لي.

فأخرجت له عجيتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيه وبارك، ثم قال: «ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي في برمتكم^(٣) ولا تنزلوها» وهم ألف.

فأقسم بالله إلا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا^(٤) وإن برمتنا لتغط^(٥) كما هي، وإن عجيتنا -أو كما قال الضحاك- لتخبز كما هو^(٦).

٣- رجل المهمات الصعبة:

(١) السور: الطعام الذي يُدعى إليه.

(٢) بك وبك: ذمته ودعت عليه.

(٣) اقدحي في برمتكم: أي اغرفي.

(٤) تركوا، وانحرفوا: تبعوا وانصرفوا.

(٥) لتغط: تغطي ويسمع غليانها.

(٦) البخاري: كتاب المغازي: باب: غزوة الخندق رقم (٤١٠٢) ورقم (٤١٠١).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال: اشتد الأمر يوم الخندق فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتينا بخبر بني قريظة؟» فانطلق الزبير فجاء بخبرهم، ثم اشتد الأمر أيضاً فذكر ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حواري والزبير حواري»^(١)

٤ - رسول الله يضحك:

عن سعد بن أبي وقاص ؓ قال: "لما كان يوم الخندق ورجل يتترس جعل يقول بالترس هكذا، فوضعه فوق أنفه، ثم يقول هكذا يسفله بعد، قال: فأهويت إلى كنانتي، فأخرجت منها سهماً مدمى، فوضعته في كبد القوس، فلما قال هكذا تسفل الترس رميت، فما نسيت وقع القدح على كذا وكذا من الترس، مال وسقط فقال برجله هكذا، فضحك نبي الله ﷺ أحسبه قال حتى بدت نواجذه".

^(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب الزبير رقم (٣٧١٩).

٥- نصر الله رسوله بريح الصبا:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرتُ بالصبا، وأهلكت عادًا بالدبور»^(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتت الصبا الشمال ليلة الأحزاب فقالت: مري حتى ننصر رسول الله ﷺ فقالت الشمال: إن الحرّة لا تسري بالليل، فكانت الريح التي نُصر بها رسول الله ﷺ الصبا.^(٢)

٦- تحول ميزان القوة بعد معركة الأحزاب:

عن سليمان بن صرد ؓ قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين جلى الأحزاب عنه «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»^(٣)

^(١) البخاري: كتاب الاستمقاء، باب: قول النبي ﷺ نصرتُ بالصبا رقم (١٠٣٥).

^(٢) قال الهيثمي في المجمع (١٣٤٩/٦-١٤٠) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

^(٣) البخاري: كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق رقم (٤١٠٩).

لوددت أن أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل..

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة/ 111]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

فليتأمل العاقل مع ربه عقد هذا التبائع ما أعظم خطره وأجله، فإن الله ﷻ هو المشتري، والثلث جنات النعيم، والفوز برضاه، والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر، وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطب جسيم:

قد هيؤوك لأمرٍ لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الحمل مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكها الذي اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسؤم هذه السلعة؟!

بالله ما هزلت فيستامها المفلسون؛ ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون!

لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد، فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطالون، وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح

أن يكون نفسه الثمن، فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة/ الآية ٥٤].

وهذا رسول الله ﷺ قد قام بالجهاد في سبيل الله حق القيام، فجاهد بيده، وبلسانه، وبقلبه، وطيلة عمره، وعدد أنفاسه، وها هو ﷺ نراه في هذا الموقف النبوي يقسم قسمًا عظيمًا أنه لولا خشيته أن يشق على المسلمين بما سنراه في الحديث ما قعد خلف سرية أو غزوة. وهذا والله هو الإيمان الكامل، والثبات الراسخ، والشجاعة المتناهية، وقوة القلب العميقة المتأصلة في نفسه عليه السلام، والجود الوافر الذي ليس وراءه منتهى، وهل هناك أعظم من الجود بالنفس!

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَضُمَّنُ اللهَ مَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يَخْرُجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصَدِيقٌ بِرَسُولِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ».

والذي نفس محمد بيده! لولا أن أشق على المسلمين ما قعدتُ
خِلافَ سَرِيَّةِ تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجدُ سعة فأحملهم،
ولا يجدون سعة، وَيَشْقُ عَلَيْهِمُ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي.

والذي نفس محمد بيده! لوددت أني أغزو في سبيل الله فَأَقْتُلُ، ثم
أغزو فَأَقْتُلُ، ثم أغزو فَأَقْتُلُ»^(١)

قال ابن القيم رحمه الله:

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى،
فلو يعطى الناس بدعواهم لادّعى الخَلِيفُ حِرْفَةَ الشَّجِيِّ، فتأخر أكثر
المدعين للمحبة، وقام المجاهدون، فقليل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم
ليست لهم، فسلموا ما وقع عليه العقد، فإن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد التبائع يوجب التسليم من
الجانبيين، فلما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الثمن، وجلالة قدر
من جرى عقد التبائع على يديه، ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا
العقد، عرفوا أن للسلعة قدرًا وشأنًا ليس لغيرها من السلع، فرأوا
من الخسران البين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم

(١) مسلم: كتاب الجهاد، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله رقم (٤٨٣٦) (نوي/١٣/٢٢)

معدودة، تذهب لذتها وشهوتها، وتبقى تبعثها وحسرتها، فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء.

ف عقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضى واختياراً من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تم العقد، وسلموا المبيع، قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن رددناها عليك أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معه ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران/ ٦٩] لم نبتع منكم نفوسكم وأموالكم طلباً للربح عليكم، بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أجل الأثمان، ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن.

فسبحان من عظم جوده وكرمه أن يحيط به علم الخلائق، فقد أعطى السلعة وأعطى الثمن، ووفق لتكميل العقد، وقبل المبيع على عيبه، وأعاض عليه أجل الأثمان، واشترى عبده من نفسه بماله، وجمع له بين الثمن والمثمن، وأثنى عليه ومدحه بهذا العقد، وهو سبحانه الذي وفقه له وشاء منه.

لقد حرك الداعي إلى الله، وإلى دار السلام النفوس الأبية، والهمم العالية، وأسمع منادي الإيمان من كانت له أذن واعية، وأسمع الله من كان حيًا، فهزه السماع إلى منازل الأبرار، وحدا به في طريق سيره، فما حطت به رحاله إلا بدار القرار.^(١) اهـ

* ما يستفاد من الحديث:

- ١- شجاعة النبي ﷺ وتظهر من قوله فيما يلي:
 - أ- حثه المؤمنون على الجهاد في سبيل الله تعالى بما ظهر في الحديث، ورسول الله ﷺ إذا رغب في شيء فمما لا شك فيه أنه يكون أول الممثلين بما أمر أو رغب فيه، ومن هنا كان التزامًا على من جاهد في سبيل الله أن يكون متخلقًا بخلق الشجاعة التي تحثه على بذل النفس رخيصةً في سبيل الله تعالى.
 - ب- قسمه عليه الصلاة والسلام وتأكيده على رغبته التامة في الخروج مع كل سرية تغزو في سبيل الله.
 - ج- قَسَمَ العظيم، وتلَّهفه الشديد بقوله: «والذي نفس محمد بيده! لوددتُ أني أغزو في سبيل الله فأقتل» ثم يكرر هذه الجملة ثلاث مرات.

(١) (زاد المعاد/١٦/٣)

وهذه والله أمنية أشجع الشجعان، أن يتمنى أن تزهر روحه، ويسفك دمه في سبيل الله ثم يحيا ثم يُقتل وهكذا ثلاث مرات يؤكدنها حتى يتم رضى الله تعالى عنه ويمن عليه بالفضل الذي لا يساويه فضل.

٢- أوجب الله للمجاهد في سبيله الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمْ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة/١١١].

٣- المجاهد الحق في سبيل الله مؤمن بربه، مصدق لرسله، فهو المضمون له المذكور في الحديث، ومن لبس ثوب الجهاد ولم يتصف بما نص عليه، فهو غير مضمون له النتيجة المذكورة من أمر الجنة وغيرها.

٤- المجاهد في سبيل الله قد فاز وظفر على كل حال، فإما أن يفوز بالجنة، وإما أن يفوز بالظفر والغنيمة والرجوع إلى الأهل والأحبة سالماً وهم معافون من كل أذى لرعاية الله لهم.

- ٥- الشهداء يدخلون الجنة بعد استشهادهم إكرامًا من الله وسرعة في تعجيل الوعد الذي وُعدوه وهم في الدنيا، فيغدون في الجنة ويروحون.
- ٦- الظافر من المجاهدين حصل أجر الجهاد والغنيمة معًا. ودليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة من مجيئه يوم القيامة على هيئته، أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله.
- ٧- دليل على جواز اليمين وانعقادها بقوله: والذي نفسي بيده ونحو هذه الصيغ من الحلف بما دل على الذات ولا خلاف في هذا.
- ٨- الشهداء لهم يوم القيامة وسم خاص بهم وهو الكلم الذي يُبعث دمًا باللون ورائحته رائحة المسك.
- ٩- ليس كل فعل من النبي ﷺ يدل على الوجوب.
- ١٠- يجوز للإمام أن يتخلف عن السرية أو الغزوة إذا رأى في ذلك مصلحة مرتبة على تخلفه.
- ١١- ينبغي على الإمام أن يُراعي أحوال العامة، ويسير بسير أضعفهم حتى لا يشق ذلك عليهم.

ولا أحد يدخل الجنة فيحب أن يخرج منها إلى الدنيا إلا الشهيد
ليغزو في سبيل الله، ثم يُقتل في سبيل الله، ثم يغزو، ثم يُقتل، ثم
يغزو ثم يقتل، لما يرى من الكرامة^(١) اهـ

١٢- على الحكام المسلمين إحياء فريضة الجهاد في هذا العصر
الذي تكالبت فيه أيدي الأعداء من كل حذب وصوب على
المسلمين المستضعفين في كل بقعة من بقاع الأرض.

فانظروا إلى الشيشان، وإلى كشمير المسلمة، وإلى أفغانستان،
وإلى فلسطين بلد الأقصى، وأخيراً إلى المستضعفين في العراق وغير
ذلك من بلاد المسلمين والتي تتن من وطأة التشرذ والضياع،
وسفك الدماء، والفقر الذي جعل الديار بلاقع، فلا مؤنس ولا
دافع، ولا سامع ولا شافع.

أصبحت الديار غير الديار، والأمصار غير الأمصار، والرجال
غير الرجال، فلکم الله يا مسلمون، ولكم الله يا مستضعفون يوم
أن خذلكم أبناء جلدتكم، ممن هم منكم، فتلقفتكم أيدي الأعداء.
١٣- فاللهم إنا نبرأ إليك من كل ظالم معتدٍ أثيم، ونسألك عزراً
للإسلام والمسلمين.

(١) (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ٤١٩/٢-٤٢٠) سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٥هـ.

١٤- الجود بالنفس من أعظم مراتب الجود، وهذا أمر قد عُرف به الحبيب ﷺ.

فهو ﷺ يتمنى أن يُقتل ثم يحيا ثم يُقتل ثم يحيا ثم يُقتل، وهذا الذي يجود هذا الجود ليس بغريب عليه أن يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فقد كان ﷺ يعطي هذا وادٍ من الإبل وغيره وادٍ من الغنم.

فعلى من أراد الجنة أن يبذل مهرها، لأن سلعة الله غالية، وليس للمرء أغلى من نفسه، فمن قدمها مهرًا فقد قدم أعظم ما عنده، وبذل أعظم ما يملك.

فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا

"حادثة الإفك"

حادثة الإفك مصاب عظيم، وبلاء جسيم، وفتنة خبيث لثيم، أصابت قلب كل مسلم محب لرسول الله ﷺ ولآل بيته قبل مصابهم بهذا البلاء المستعر، والشر المستطير.

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

ومع هذا الحادث العظيم نرى رسول الله ﷺ يظهر بمظهر الكمال الإنساني تجاه هذه النائبة التي تقصم الظهور، وتهز العقول، والتي سرعان ما ينهار فيها الإنسان ويرتكب من الأعمال ما يندم عليه عندما تهدأ النفوس، وتنجلي الحقائق.

لقد تأثر رسول الله ﷺ من هذا الموقف، ولكنه مع ذلك أمسك بزمام نفسه، وسَمَت أخلاقه حتى احتوت هذه الفتن.

نعم، لقد تأثر وهذا شيء طبيعي. ولكنه أيضاً تعامل مع الواقع بحكمة شديدة، نرى فيها كمال خلقه، وعظيم صبره، وقوة بأسه، ورجاحة عقله، وقوة فطنته وذكائه.

فصلى الله عليه وعلى آله جميعاً إلى يوم الدين.

هذه الحادثة سردها يطول، ولكن سأحاول أن أجلي بعض الصور التي صبر فيها رسول الله ﷺ تجاه هذا الموقف وتلك المصيبة التي ألمت بآل بيته جميعاً، ولكنها ما فتئت أن كانت خيراً وصارت قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، وطُهرًا ينشر عبره في أرجاء الكون كله، ودوحة باسقة يتقلدها المحبون لرسول الله ﷺ ولآل بيته جميعاً.

وعلى الجانب الآخر أصبح رأس الفتنة وموقدها يُذكر بأسوأ ما يُعلم، وتوعده الله بعذاب أليم لأن الحد لا يطهره من هذا الجرم القبيح فلعنة الله على المنافقين.

غزا رسول الله ﷺ ذات مرة وكانت عائشة رضي الله عنها معه في تلك الغزوة، وأبعدت عنهم في ساعة لتقضي شأنها، فانفرط عقدُها، فمكثت تلتسمه ووجدته، ثم جاءت منازل الجيش وليس بها داعٍ ولا مجيب، فجلست تنتظرهم إذا ما فقدوها، لأنهم ظنوها في هودجها، وكانت إذ ذاك خفيفة اللحم، فحملوه وظنوها بداخله، فأخذها النوم في مكانها.

وكان صفوان بن المعطل السُّلميُّ من وراء الجيش فرأى عائشة رضي الله عنها فعرفها فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعدما نزل الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي ﷺ في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما شاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغترَّ بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلون الكلام.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني^(١) في وجعي، أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف^(٢) الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم»، ثم ينصرف، فذاك الذي يريني ولا أشعر بالشرّ حتى خرجت بعدما نقهت^(٣) فخرجت معي أمّ مسطح، فأخبرتها الخبر فحزنت حزناً شديداً، وبكت بكاء مرّاً ورجعت إلى البيت تقول رضي الله عنها:

ودخل عليّ رسول الله ﷺ تعني سلم ثم قال: «كيف تيكم؟» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي.. فأذن لي رسول الله ﷺ... فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله.. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر^(٤) يومئذ من عبدالله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً. وما كان يدخل على أهلي إلا معي».

(١) يريني: يقال: رابه وأرابه، إذا أوهمه، وشككه.

(٢) اللطف: البر والرفق.

(٣) نقهت: الذي أفاق من مرضه ولم تتكامل صحته.

(٤) استعذر: أي طلب من يعذره منه، أي: ينصفه.

فقال سعد بن معاذ: أنا أعذرُك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرُك. فرد عليه سعد بن عبادَة ردًّا شديدًا.

فتساور الحيّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع يظنّان أن البكاء فالتق كبدِي.

قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال:

«أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قَلَصَ دمعي حتى ما أحسُّ منه قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.

قالت: فقلت -وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن-: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة -والله يعلم أنني بريئة- لا تُصدّقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر -والله يعلم أنني منه بريئة- لتصدّقني. والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف/١٨]

قالت: ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي.

قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أنني بريئة وأن الله مُبرِّئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرِّوني الله بها.

قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجُمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي يُنزل عليه.

قالت: فلما سُري عن رسول الله ﷺ سُري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة، أما الله ﷻ فقد برأك...»^(١)

ولك أن تتصور تلك الحالة النفسية التي كان رسول الله ﷺ يكتمها في صدره وهو يعلم ما تلوكه السنة المنافقين على أهله.

فكم هي هذه الهموم التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته جميعاً طيلة هذه المدة والتي فتر فيها الوحي كذلك.

ومع ذلك صبر ﷺ وصمت حتى جاء الفرج وظهرت الحقيقة، وازدادت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شرفاً إلى شرفها، وذكرًا حسنًا إلى يوم القيامة يُتلى. فلما أن سطع نور البراءة حدّ ﷺ المؤمنين الذين زلت أقدامهم الحد الشرعي وطهرهم من هذا الإثم، وترك رأس الفتنة ولم يُعمل فيه السيف لأن الحد لا يطهره وأمثاله لعلو

^(١) البخاري: كتاب التفسير: باب: "لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم..." رقم (٤٧٥٠) (فتح/٥٧٨).

كعبه في النفاق، وقَدَمَ عناده في المخالفة والشقاق. فصلى الله وسلم على إمام الصابرين وقدوة الناس أجمعين.

* ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية القرعة حتى بين النساء وفي المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو.^(١)

٢- جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئاً عند قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للموقع فيه.

٣- إن الهودج يقوم مقام البيت في حجاب المرأة.

٤- جواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير ولو كان ذلك مما يشق عليه حيث يكون مطيقاً ذلك.

(١) والقرعة هنا إنما تكون بين النساء الصالحات للمفر فمن كانت له زوجتان إحداهن ظاهرة الحمل والأخرى ليست بحامل كان له أن يصطحب من ليست بحامل دون قرعة لأنها القادرة على السفر بيسر وكذا خدمة زوجها، والجدير بالذكر هنا أن النبي ﷺ كان يعدل بين نسائه غاية العدل على الرغم من أنه لا يجب عليه ذلك بل يستحب وهو من خصائصه ﷺ.

- ٥- وفيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء حجاب وجواز تستر المرأة بالشيء المنفصل عن البدن.
- ٦- توجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها بل اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام.
- ٧- جواز تحلي المرأة في السفر بالقلادة ونحوها، وصيانة المال ولو قلّ للنهي عن إضاعة المال، فإن عقد عائشة رضي الله عنها لم يكن من ذهب ولا جوهر.
- ٨- شؤم الحرص على المال، لأنها لو لم تطل في التفتيش لرجعت بسرعة فلما زاد على قدر الحاجة حصل ما جرى.
- ٩- استعمال بعض الجيش ساقية يكون أميناً ليحمل الضعيف ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح.
- ١٠- إغاثة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب، وتجشم المشقة لأجل ذلك، وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما في الخلوة.
- ١١- ملاحظة الزوجة وحسن معاشرتها، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعذر أو تعترف.

١٢- السؤال عن المريض، وإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققاً فترك أصلاً، وإن كان مظنوناً فيخفف، وإن كان مشكوكاً فيه أو محتملاً فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه، لأن ذلك من خوارم المروءة.

١٣- البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك.

١٤- وفيه استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به قرابة وغيرها، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب، والبحث عن حال من اتهم بشيء، وحكاية ذلك للكشف عن أمره ولا يعد ذلك غيبة.

١٥- وفيه فضائل جمعة لعائشة ولأبويها ولصفوان ولعلي بن أبي طالب وأسماء وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وأم مسطح رضي الله عنهم جميعاً.

١٦- التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح.

١٧- جواز سب من يتعرض للباطل ونسبته إلى ما يسوءه وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه، لكن إذا وقع منه ما يشبه ذلك جاز إطلاق ذلك عليه تغليظاً له.

١٨- النذب إلى قطع الخصومة، وتسكين ثائرة الفتنة، وسد ذريعة ذلك، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما، وفضل احتمال الأذى.

١٩- أن من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل يقتل لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ.

٢٠- تدرج من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة، ثم تلاوته الآيات على وجهها. وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يمكن من المبالغة في الري في الماء لئلا يفضي به ذلك إلى الهلكة بل يجرع قليلاً قليلاً.

٢١- أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج، وفضل من يفوض الأمر لربه، وأن من قوي على ذلك خف عنه الهم والغم، كما وقع

في حالي عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها بقولها: والله المستعان.

٢٢- التآسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم.

٢٣- بيان أن الحبيب ﷺ ما كان يعلم الغيب حتى يعلمه الله تعالى، فكيف إذا بغيره ممن يدعون علم الغيب والمكاشفة تغريراً بالمسلمين وتضليلاً لهم لاستغلالهم.

٢٤- بيان براءة أم المؤمنين ولذا من شك في براءتها بعد نزول القرآن بذلك فقد كفر إما أن يراجع الإسلام وإلا فهو كافر من أهل النار.

٢٥- إقامة حد القذف على من قذف محصناً مؤمناً أو محصنة مؤمنة بفاحشة، إذ أقيم الحد على مسطح وحسان وحمئة، فطهرهم الله تعالى بذلك، ولم يقم الحد على ابن أبيّ لأنه كافر لا تطهره الحدود.

٢٦- حرمة قذف المحصنات المؤمنات وكذا المحصنين المؤمنين، وأنه من كبائر الذنوب، وموجب للحد، وهو ثمانون جلدة.

وغير ذلك من الفوائد في هذه القصة كثير.^(١)

(١) ومن أراد أن يطالع شيئاً من ذلك فليراجع ((فتح الباري/٨/٦١٢-٦١٧))

الإسراء والمعراج تسلية ومكافأة ربانية

قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء/ ١]

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى:

ينزه تعالى نفسه المقدسة ويعظمها، لأن له الأفعال العظيمة والمنن الحسيمة التي من جملتها أن أسرى بِعَبْدِهِ وُرسوله محمد ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الذي هو أجل المساجد على الإطلاق إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الذي هو من المساجد الفاضلة وهو محل الأنبياء.

فأسرى به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدًا، ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته، ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتًا وفرقانًا. وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه، حيث يسره لليسرى في جميع أموره، وخوَّله نعمًا فاق بها الأولين والآخرين.

وظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل، وأنه من نفس المسجد الحرام، لكن ثبت في الصحيح، أنه أسري به من بيت أم هانئ، فعلى هذا تكون الفضيلة في المسجد الحرام لسائر الحرم، فكله تتضاعف فيه العبادة كتضاعفها في نفس المسجد، وأن الإسراء بروحه وجسده معاً، وإلا لم يكن في ذلك آية كبرى، ومنقبة عظيمة.

وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في الإسراء، وذكر تفاصيل ما رأى، وأنه أسري به إلى بيت المقدس، ثم عرج به من هناك إلى السموات العلى، ورأى الجنة والنار والأنبياء على مراتبهم، وفرض الله عليه الصلوات خمسين، ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم حتى صارت خمساً بالفعل، وخمسين بالأجر والثواب، وحاز من المفاخر تلك الليلة، هو وأمته ما لا يعلم مقداره إلا الله ﷻ.. اهـ

غير أن كفار قريش قابلوا هذه المعجزة بالكذب، والتشنيع، والسخرية والاستهزاء برسول الله ﷺ مما سبب له الحزن والتألم لتكذيب قريش له، غير أنه ﷺ صبر الصبر الجميل، ولم يهتز أمام هذه القلوب الحاقدة الحاسدة الماكرة وأعلن أمامهم التفاصيل

الدقيقة لهذه الرحلة والمعجزة المباركة الميمونة، بل ووصف لهم بيت المقدس وصف الخبير الذي حيرهم وأذهلهم ومع ذلك كبروا وعاندوا وشهروا به ﷺ.

والإسراء والمعراج نقطة تحول هامة في حياة الرسول ﷺ إذ عرف ﷺ وأتباعه من أعدائه الذين ارتدوا أمام تضخيم قریش المشين لهذه المعجزة.

وأترك زبالات الجاهلية وعفنها، إلى المعجزة النبوية وعظمتها، نتعلم من إشراقاتها، ونستفيد من دروسها وهباتها، ونقف على جوانب العظمة والنبوة التي صُبغت بها الشخصية المحمدية، والتي تدين بها الطوائف السلفية، وتضيق منها معاطن الفرق البدعية.

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « أتيت بالبراق - وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه - قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل للرسول ﷺ: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت. قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه،

ففتح لنا فإذا أنا بآدم، فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى ابن زكريا صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحّب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحّب ودعا لي بخير، قال الله ﷻ: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾.

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ فرحّب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسْنَدًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حُسْنِها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم و ليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم.

قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي فحطّ عني خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمسًا. قال: إن أمتك لا

يطبقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام، حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة.

ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»^(١)

وعن البخاري قال ﷺ: «يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه».

قال ابن القيم:

فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه أخبرهم بما أراه الله ﷻ من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم، واستضرارهم عليه،

(١) مسلم: كتاب الإيمان: باب: الإسماء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم (٤٠٩) (نوي/٢/٣٨٤) ونكرت رواية مسلم لأنها أتم من رواية البخاري حيث أشارت إلى قصة الإسماء والمعراج أما رواية البخاري فلتقتصر على قصة المعراج.

وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئاً.

وأخبرهم عن غيرهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها.

وكان الأمر كما قال، فلم يزداهم ذلك إلا نفوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً. اهـ^(١)

* ما يستفاد من الحديث:

- ١- أن للسماء أبواباً حقيقية وحفظة موكلين بها.
- ٢- إثبات الاستئذان، وأنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول: أنا فلان، ولا يقتصر على أنا، لأنه ينافي مطلوب الاستفهام، وأن المار يسلم على القاعد، وإن كان المار أفضل من القاعد.
- ٣- استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر والترحيب والثناء والدعاء.
- ٤- جواز مدح الإنسان المأمون على الافتتان في وجهه.

(١) (زاد المعاد/٣/٢٨، ٢٩)

٥- وفيه جواز الاستناد إلى القبلة بالظهر وغيره مأخوذ من استناد إبراهيم إلى البيت المعمور، وهو كالكعبة في أنه قبلة من كل جهة.

٦- وفيه جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل.

٧- وفيه فضل السير بالليل على السير بالنهار لما وقع من الإسراء بالليل. ولذلك كان أكثر عبادته ﷺ بالليل، وكان أكثر سفره ﷺ بالليل. وقال ﷺ: «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل».

٨- وفيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، ويستفاد ذلك من قول موسى عليه السلام للنبي ﷺ أنه عالج الناس قبله وجربهم.

٩- ويستفاد منه تحكيم العادة، والتنبيه بالأعلى على الأدنى، لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبدأناً من هذه الأمة، وقد قال موسى إنه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه.

وأشار إلى ذلك ابن أبي جمرة، قال:

١٠- ويستفاد منه أن مقام الخلعة مقام الرضا والتسليم، ومقام التكلم مقام الإدلال والانبساط، ومن ثم استبد موسى بأمر

النبي ﷺ بطلب التخفيف دون إبراهيم عليه السلام، ومع أن النبي ﷺ من الاختصاص بإبراهيم أزيد مما له من موسى لمقام الأبوة، ورفعة المنزلة والاتباع في الملة.

وقال غيره: الحكمة في ذلك ما أشار إليه موسى عليه السلام في نفس الحديث من سبقه إلى معالجة قومه في هذه العبادة بعينها، وأنهم خالفوه.

١١- وفيه أن الجنة والنار قد خلقتا، لقوله في بعض طرقه التي بينها: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ».

١٢- وفيها استحباب الإكثار من سؤال الله. قال: وتكثير الشفاعة عنده لما وقع منه ﷺ في إجابته مشورة موسى في سؤال التخفيف.

١٣- وفيه فضيلة الاستحياء وبذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح في ذلك. اهـ من فتح الباري.

١٤- الإسلام دين الفطرة:

قال محمد سعيد رمضان:

وفي اختيار النبي ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمهما له جبريل عليه السلام دلالة رمزية على أن الإسلام هو دين الفطرة.

أي الدين الذي ينسجم في عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة، فليس في الإسلام شيء مما يتعارض والطبيعة الأصيلة في الإنسان.

ولو أن الفطرة كانت جسمًا ذا طول وأبعاد لكان الدين الإسلامي الثوب المفصّل على قدره.

وهذا من أهم أسرار سعة انتشاره وسرعة تقبل الناس له، إذ الإنسان مهما ترقى في مدارج الحضارة، وغمرته السعادة المادية، فإنه يظل نزاعًا إلى استجابة نوازع الفطرة لديه، ميّالًا إلى الانعتاق عن ربطة التكاليف والتعقيدات البعيدة عن طبيعته، والإسلام هو النظام الوحيد الذي يستجيب لأعمق نوازع الفطرة البشرية.^(١) اهـ

١٥- المستقبل للإسلام:

قال صفى الرحمن المباركفوري:

يرى القارئ في سورة الإسراء أن الله ذكر قصة الإسراء في آية واحدة فقط ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبههم بأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.

(١) (فقه السيرة/ ١٢٠، ١٢١) للبطوني، دار الفكر، ط ٦.

فرمما يظن القارئ أن الآيتين ليس بينهما ارتباط، والأمر ليس كذلك فإن الله تعالى يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس، لأن اليهود سيُعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب، وأن الله سينقل هذا المنصب فعلا إلى رسوله ﷺ، ويجمع له مركزي الدعوة الإبراهيمية كليهما.

فقد آن أوان انتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة، من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم والعدوان، إلى أمة تتدفق بالبر والخيرات، ولا يزال رسولها يتمتع بروحي القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم.^(١) اهـ

١٦ - مكافأة ربانية:

قال الجزائري حفظه الله:

'الإسراء والمعراج' كان مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلام وأحزان، إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وما لاقاه في أثنائه من جوع وحرمان، إنه كان بعد فقد

(١) (الرحيق المختوم/١٦٧، ١٦٨) مكتبة الصحابة، بجدة.

الناصر الحميم، وفقد خديجة أم المؤمنين، إنه كان بعد خيبة الأمل في ثقيف، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها.

بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه، وقربه وأدناه، وخلع عليه من حلال الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونصب وتعب، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته.

فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون، وما غفل عن ذكره الغافلون.^(١) اهـ

١٧- الإسراء كان بالروح والجسد

قال القاضي عياض:

وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق...

وقال أيضاً:

والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر

(١) (هذا الحبيب يا محب/ ١٣٥) الجزائري، مكتبة لينة.

والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة^(١) إذ لو كان منامًا لقال: بروح عبده ولم يقل بعبده. وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ولو كان منامًا لما كان فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتوا به، إذ مثل هذا في المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته. اهـ^(٢)

^(١) الصحيح عند وجود نص أو قرينة تدل على أن الظاهر غير مراد.
^(٢) (الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى/ ١٨٩/١) للقاضي عياض، دار الكتب العلمية.
 ومما يدل على أنه كان يقظة كذلك ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله ؓ ما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته».
 فلو أنه ﷺ أخبرهم بأنها رؤيا رأها لما اختبروه بالمسأل عن آياته وعلاماته وهذه أيضًا معجزة ثانية لرسول الله ﷺ وانظر (وقفات تربوية مع السيرة النبوية/ ١١٦-١٢٥) أحمد فريد، دار طيبة.

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٣]

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ أي: فرض وقوله: كَمَا كُتِبَ
أي كما فرض على الذين من قبلكم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

وإنما ذكر الله تعالى أنه فرض على من قبلنا ولم يذكر مثل ذلك في
الصلاة، لأن الصيام فيه مشقة، وتعب، وترك المألوف، ولا يخفى أنه
في أيام الحر وطول النهار يكون شديداً على النفوس، فذكر الله أنه
فرضه على من قبلنا تسلياً لنا، لأن الإنسان إذا علم أن هذا الشيء
له ولغيره هان عليه، وذكره أيضاً من أجل أن يبين أنه جل وعلا
أكمل لنا الفضائل، كما أكمل لمن سبقنا ما شاء من الفضائل. اهـ

ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعيته الصيام فقال: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب
نهيهِ.

فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم بترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقرباً بذلك إلى الله راجياً بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع الله عليه. اهـ من تفسير السعدي.

لذلك كان فضل الصوم عظيماً، لدرجة أن هذه الرائحة الكريهة التي تنبعث من فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ولذلك أقسم رسول الله ﷺ على ذلك.

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحدٌ أو قاتله، فليقل: إني صائم.

والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(١)

الصائم ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل ربه، فلما طالت المدة بخلو معدته من الطعام إثارة لطاعة الرحمن كانت تلك الرائحة التي فاحت من المعدة ووصلت إلى الفم حتى غيّرتة وعلّته الرائحة الكريهة والتي يضجر الناس منها بل ويتأففون.

هذه الرائحة لماذا حصلت؟! وما كان الباعث وراءها؟! إنها العبودية والتقوى التي جعلت الصائم يؤثر ترك الطعام والشراب طاعةً لله! فهل يعقل أن تكون النتيجة أن هذه الرائحة الكريهة كريهة كذلك عند الله؟! كذلك عند الله؟!

اللهم لا! فالجزاء من جنس العمل وإن لم يعلم المسلم ذلك.

(١) البخاري: كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شئت رقم (١٩٠٤).

*** ما يستفاد من الحديث:**

١- الصيام يختصه الله ﷻ من بين سائر الأعمال، لأنه -أي الصيام- أعظم العبادات إطلاقاً، فإنه سر بين الإنسان وربه، لأن الإنسان لا يُعلم إذا كان صائماً أو مفطراً، هو مع الناس ولا يُعلم به، نيته باطنة، فلذلك كان أعظم إخلاصاً، فاختصه الله منه بين سائر الأعمال.

٢- أن عمل ابن آدم يُزاد من حسنة إلى عشرة أمثالها، إلا الصوم، فإنه يُعطى أجره بغير حساب يعني: أنه يضاعف أضعافاً كثيرة.

قال أهل العلم: ولأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة، ففيه صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله.

أما الصبر على طاعة الله: فلأن الإنسان يحمل نفسه على الصيام مع كراهته له أحياناً، يكرهه لمشقته، لا لأن الله فرضه، لو كره الإنسان الصوم، لأن الله فرضه لحبط عمله، لكنه كرهه لمشقته، ولكنه مع ذلك يحمل نفسه عليه، فيصبر عن الطعام والشراب والنكاح لله ﷻ.

النوع الثاني من أنواع الصبر: الصبر عن معصية الله، وهذا حاصل للصائم فإنه يصبر نفسه عن معصية الله ﷻ، فيتجنب اللغو والرفث والزور وغير ذلك من محارم الله.

الثالث: الصبر على أقدار الله، وذلك أن الإنسان يصيبه في أيام الصوم، -ولا سيما في الأيام الحارة والطويلة- من الكسل والملل والعطش ما يتألم ويتأذى به، ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله.

فلما اشتمل على أنواع الصبر الثلاث، كان أجره بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر/ ١٠].

٣- أن للصائم فرحتين، الفرحة الأولى عند فطره، إذا أفطر فرح بفطره، فرح بفطره من وجهين:

الوجه الأول: أنه أدى فريضة من فرائض الله، وأنعم الله بها عليه، وكم من إنسان في المقابر يتمنى أن يصوم يوماً واحداً فلا يكون له! وهذا قد منّ الله عليه بالصوم فصام، فهذه نعمة، فكم من إنسان شرع في الصوم ولم يتمه! فإذا أفطر فرح، لأنه أدى فريضة من فرائض الله، ويفرح أيضاً فرحاً آخر، وهو أن الله أحل له ما يوافق طبيعته من

المآكل والمشارب والمناكح، بعد أن كان ممنوعاً منها، فهاتان فرحتان في الفطر:

الأولى: أن الله مَنّْ عليه بإتمام هذه الفريضة.

الثانية: أن الله مَنّْ عليه بما أحل له من محبوباته من طعام وشراب ونكاح.

٤- الإشارة إلى الحكمة من فرض الصوم، حيث قال ﷺ: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب» يعني: لا يقول قولاً يأثم به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب، بل يكون وقوراً مطمئناً متأنياً، فإن سابه أحد أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه، بل يقول: إني صائم، يقول ذلك، لئلا يتعالى عليه الذي سابه، كأنه يقول: أنا لست عاجزاً عن أن أقابلك بما سببتني ولكني صائم، يمنعي صومي من الرد عليك، وعلى هذا فيقوله جهراً.

كذلك أيضاً إذا قال: (إني صائم) يردع نفسه عن مقابلة هذا الذي سابه كأنه يقول لنفسه: (إني صائم، فلا تردّي على هذا الذي سبّ) وهذا أيضاً معنى جليل عظيم.^(١)

(١) (شرح رياض الصالحين/٢/١٣٩٣، ١٣٩٤) ابن عثيمين، دار السلام، القاهرة.

* بحث ماتع في خلوف فم الصائم

وقع بين أهل العلم خلاف وتنازع في قوله ﷺ: «وخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك» ولذا أقسم النبي ﷺ على ذلك فقال: «والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

وقع الخلاف هل هو في الدنيا أو في الآخرة؟

وقد فصل المسألة تفصيلاً عجيباً العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه المستطاب: «الوابل الصيب» وانفصل إلى كلمة سواء بين الفريقين فقال رحمه الله:

وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة، فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم الكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر، وتبدو على الوجوه، وتصير علانية، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار، وسود وجوههم.

وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون، فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذٍ طيبها على ريح المسك عند الله -

تعالى- وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد، فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى وبالعكس، فإن الناس يكرهونه، لمنافرتهم طباعهم، والله تعالى يستطيعه ويحبه، لموافقته أمره ورضاه ومحبته فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة، ظهر هذا الطيب للعباد، وصار علانية.

وهكذا سائر الأعمال من الخير والشر، وإنما يكمل ظهورها علانية في الآخرة وقد يقوى العمل ويزايد، حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر، كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس: إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق.

وقال عثمان بن عفان: ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه الله تعالى رداءه، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وهذا أمر معلوم، يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة، وإن لم يمس طيباً، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه، والفاجر بالعكس، والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشم لا هذا ولا هذا، بل زكاهم يحمله على الإنكار.

فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. اهـ

إنها لتعدل ثلث القرآن

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

قال الجزائري حفظه الله:

قوله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الآيات الأربع المباركات نزلت جواباً لمن قالوا للرسول ﷺ من المشركين انسب لنا ربك أو صفه لنا فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ قل أي لمن سألك ذلك هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أي: ربي هو الإله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة إلا له.

أحد في ذاته وصفاته وأفعاله فليس له نظير، ولا مثيل في ذلك، إذ هو خالق الكل ومالك الجميع فلن تكون المحدثات المخلوقات كخالقها ومحدثها الله، أي المعبود الذي لا معبود بحق إلا هو، الصمد أي: السيد المقصود في قضاء الحوائج الذي استغنى عن كل خلقه، وافتقر الكل إليه لم يلد أي: لم يكن له ولد لانتفاء من يجانسه، إذ الولد يجانس والده، والمجانسة منفية عنه تعالى، إذ ليس كمثله شيء ولم يولد لانتفاء الحدوث عنه تعالى.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أي: ولم يكن أحد كفواً له ولا مثيلاً ولا نظيراً ولا شبيهاً إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فلذا هو يعرف بالأحدية والصمدية فالأحدية هو أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لم يكن له كفو ولا شبيه ولا نظير، والصمدية هي أنه المستغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه في وجوده وبقائه كل ما عداه كما يعرف بأسمائه وصفاته وآياته. اهـ

هذه السورة العظيمة أقسم النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن كما في هذا الموقف.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن».

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلاث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينما يطيق يا رسول الله؟ فقال: **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ»** ثلث القرآن».

وعنه: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقأها، فقال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»^(١)

القرآن الكريم كما هو معلوم مائة وأربع عشرة سورة وقد تضمنت الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن نصف هذا العدد أي سبعة وخمسين سورة من سورة المجادلة إلى سورة الناس وهذه السور القصار نسبياً معظمها من السور المكية، فقرابة أربعة أخماسها نزلت في

(١) البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: فضل: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" رقم (٥٠١٣) (٥٠١٥).

أول عهد النبوة، ومعنى هذا أن هذه السور على قصرها تضمنت أساس العقيدة الإسلامية.

ولهذا فإن من حفظ العشر الأخير من القرآن فقد أوتي خيراً كثيراً، لأن هذا العشر المبارك يحتوي كما أسلفنا على سبع وخمسين سورة من كتاب الله لكل واحدة منها فضلها وبركتها وإعجازها وبلاغتها.

إن سورة الإخلاص مثلاً خمس عشرة كلمة، وهي على قصرها تعدل ثلث القرآن وإذاً فما يكون للمسلم أن يقال السور القصيرة، لأنها ذات شأن خطير وحسبك أنها أرست أساس الإسلام، فلقد مكث الوحي أكثر من خمس سنوات وهو لا ينزل إلا بسورة قصيرة، وفي هذا حكمة بالغة من الله -جل جلاله- إذ لو بدأ بإنزال السور الطوال لشق ذلك على الناس وهم إذ ذاك في العقيدة لطلاب الصف الأول الابتدائي.^(١)

(١) (من لطائف التفسير/ ٥٢٣/٣) أحمد فرح عقيلان، دار اليقين، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

* ما يستفاد من الحديث:

١- قوله: «والذي نفسي بيده» كان ﷺ كثيراً ما يحلف بهذه

الصيغة، وقد روى الطبراني وابن ماجه عن رفاعه بن عرابه:

«كان النبي ﷺ إذا حلف قال والذي نفسي بيده».

فقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده» أي روعي، وحياتي وموتي،

يتصرف في كيف يشاء.

٢- وقوله ﷺ: «إنها لتعدل ثلث القرآن» القرآن أنزل على

ثلاثة أقسام:

ثلث منه الأحكام وبيان الحلال من الحرام.

وثلث منه الوعد والوعيد والجزاء، وما وقع بمن كذب الله

ورسله، وما سيقع بهم في الآخرة، وكذا من أطاعه.

وثلث منه في أسماء الله تعالى وصفاته، وهذه السورة خالصة في

الأسماء والصفات قاله أبو العباس ابن سريج، وغيره من السلف.

٣- وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة على تفاضل كلام الله تعالى

وصفاته، وهو المأثور عن السلف، وعليه أئمة الفقهاء

وغيرهم، ونصوص الكتاب والسنة تؤيد ذلك.

قال الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة/١٠٦] فأخير تعالى أنه يأتي بخير منها أو مثلها، فدل على أن الآيات تتماثل مرة وتتفاضل أخرى. وأما الأحاديث فكثيرة، من جملتها هذا الحديث، ومن تأمل كلام السلف ومن سار على نهجهم علم أن هذا من الأمور المستقرّة في نفوسهم.^(١)

٤ - وقوله ﷺ: «إنها لتعدل ثلث القرآن» يعني: أجرها كأجر ثلث القرآن لكنها لا تجزئ عن القرآن.

ولهذا لو قرأها الإنسان مثلاً ثلاث مرات بدل قراءة الفاتحة في الصلاة لا تجزئ، لأن هناك فرقاً بين المعادلة في الأجر والمعادلة في الإجزاء. قد يكون الشيء معاد لغيره في الأجر ولكنه لا يعادله في إجزائه. أرايتم مثلاً إذا قال الإنسان: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، يعني يعادل عتق أربعة رقاب، لكن لو كان عليه عتق رقبة، وقال ذلك ما نفعه ذلك.

(١) (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري/٥٠/١) وهناك بحث مهم في تفاضل القرآن يُنظر عبدالله محمد الغنيمان، دار العاصمة.

فهناك فرق بين المعادلة في الثواب والمعادلة في الإجزاء، فهي تعدل
ثلث القرآن في الثواب ولكنها لا تعدل في الإجزاء، ولهذا لو قرأها
الإنسان ثلاث مرات في الصلاة لم تجزئه عن الفاتحة، والله الموفق. ^(١)

٥ - هداية الكثيرين من علماء الأديان.

هذه السورة المكونة من أربع آيات قصار كانت سبباً في هداية
الكثيرين من علماء الأديان، كثيرون أولئك الذين كانوا ينشدون
صفاء التوحيد لم يجدوه في عقيدة النصارى حيث يختلط عندهم الأب
والابن وروح القدس، ولا وجدوه عند اليهود حيث العزيز ابن الله،
وحيث هم جميعاً أبناء الله، فلما قرؤوا: قل هو الله أحد إذا هم بإزاء
توحيد خالص لا يشوبه شرك.

فالإله الذي يدعو محمداً إلى توحيده هو الواحد المتفرد بصفات
العظمة والكبرياء والجلال، وكل من سواه عبد الله مخلوق بيديه. ^(٢)

٦ - جواز استخدام اللفظ في غير ما يتبادر للفهم، لأن المتبادر من
إطلاق ثلث القرآن أن المراد ثلث حجمه المكتوب، وقد ظهر
للمصحابة رضي الله عنهم أن ذلك غير مراد. ^(٣)

^(١) (شرح رياض الصالحين/١٢٥٣/٢) لابن عثيمين.

^(٢) (من لطائف التفسير/٥٢٤/٣).

^(٣) (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين/٢٢٧/٢).

لو لم تذبوا

قال تعالى:

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾
[الزمر/ ٥٣]

قال العلامة السعدي رحمه الله:

لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ أَي: لَا تَيْأَسُوا مِنْهَا، فَتَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَتَقُولُوا قَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبُنَا، وَتَرَاكَمَتْ عَيُوبُنَا، فَلَيْسَ لَهَا طَرِيقُ يَزِيلُهَا، وَلَا سَبِيلُ يَصْرِفُهَا، فَتَبْقُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُصْرِينَ عَلَى الْعَصْيَانِ، مُتَزَوِّدِينَ مَا يَغْضِبُ عَلَيْكُمْ الرَّحْمَنَ، وَلَكِنْ اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا مِنَ الشُّرْكِ وَالْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالرَّابَا وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكُبَارِ وَالصُّغَارِ.

إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ أَي: وَصِفَةُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَصِفَانِ لَازِمَانِ ذَاتِيَّانِ، لَا تَتَفَكَّ ذَاتُهُ عَنْهُمَا، وَلَمْ تَزَلْ آثَارُهُمَا سَارِيَةً فِي الْوُجُودِ، مَالِئَةٌ لِلْمَوْجُودِ، تَسْبِيحُ يَدَاهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،

ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنح، والرحمة سبقت الغضب وغلبته.

ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم. اهـ

لأن الله تعالى يحب المغفرة، والرحمة، ولا يريد أن يعذب عباده، فهو لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها، وتأمل الحديث الآتي حتى تتضح لك عظمة رحمته ومغفرته تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! لو لم تذبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم»^(١)

القرآن مليء بالآيات التي تحت على التعرض لرحمة الله تعالى، فعسى أن يرحم الله من يأخذ بأسباب النجاة.

(١) مسلم: كتاب التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم (٦٨٩٩) (نوي/١٧/٦٨).

والقرآن كذلك مليء بالآيات التي تصف رحمة الله الواسعة بعباده ومنها قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر/ ٤٩، ٥٠].

قال السعدي رحمه الله:

نَبِّئْ عِبَادِيَ أَي أَخْبِرْهُمْ خَبْرًا جَازِمًا مُؤِيدًا بِالْأَدْلَةِ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فَإِنَّهُمْ إِذَا عَرَفُوا كَمَالَ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، سَعَوْا فِي الْأَسْبَابِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَأَقْلَعُوا عَنِ الذُّنُوبِ وَتَابَوْا مِنْهَا، لِيَنَالُوا مَغْفِرَتَهُ.

ومع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال فنبئهم وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ أَي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله، الذي لا يقادر قدره، ولا يبلغ كنهه، نعوذ به من عذابه، فإنهم إذا عرفوا أنه ﴿...لَّا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا﴾ [الفجر/ الآية ٢٥] حذروا، وأبعدوا عن كل سبب يوجب لهم العقاب.

فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرغبة، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرغبة والإقلاع عنها. اهـ

* ما يستفاد من الحديث:

الرسول ﷺ يقسم على أمر عظيم:

١ - الذنوب والمعاصي شأنها خطير، فهي التي تكرس العبد في نار جهنم، وإذا تمادى العبد في المعصية ربما ختم له بما كان يألفه من المعاصي، ولكن مع ذلك على العبد المسلم أن لا ييأس من رحمة الله، ويعزف عن التوبة والاستغفار بحجة أن الذنوب صارت كثيرة وهي كفيلة بأن تطرده من رحمة الله تعالى.

وهنا يأتي قسمه ﷺ على نفس هذه الأوهام، فيؤكد بحلفه أن المرء مهما قوي إيمانه فلا بد له من التقصير في بعض الجوانب، بل وارتكاب بعض المعاصي، ولو لم تكن هذه الحقيقة كائنة لذهب الله بنا، ولجاء بقوم يُذنبون، حتى يستغفروا ويبكوا على ما قدمت

أيديهم، وما فرطوا بحجب الله، فيتوبون، ويستغفرون ربهم بكرة وعشيا.

فعلى المرء أن لا ييأس ولا يحزن فيقنط من رحمة الله.

٢- كل ابن آدم خطّاء:

نعم كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوابون، فعلى العبد أن يكثر من التوبة، ويجدها صباحًا ومساءً، ويعتبر بحال من مضى من هؤلاء الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والمعاصي فلما تابوا تاب الله عليه.

إن الله تعالى يقبل التوبة من جميع الذنوب والمعاصي بلا استثناء، فلا تستعظم ذنبًا بجوار رحمة الله.

واعلم عبد الله، أن الله يحب التوابين، ويحب المستغفرين، ويجب المتطهرين، فأكثر من التوبة والاستغفار تطهر من الذنوب والمعاصي بإذن العزيز الرحيم الغفار.

٣- ليس في الحديث تحريض على فعل المعصية أو التهوين والتقليل من شأنها ولكن فيه تبشير بالمغفرة وإزالة لشدة الخوف واليأس من النفوس فلقد كان من أصحاب رسول

الله ﷻ من يفر إلى الجبال، ويعتزل الحياة ونعيمها من شدة خوفه من عقاب الله وأليم عذابه، فكان هذا الحديث وأمثاله طمأنينة ورجاء لعفو الله ورحمته ومغفرته.

٤ - طائفة من الأحاديث في رحمة الله وعفوه ومغفرته: ^(١)

- عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي».
- عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».
- عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي، تبتغي، إذا وجدت صبياً في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته.

^(١) جميع ما ورد من الأحاديث عند مسلم: كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه رقم (١٩٠٣) (١٩٠٨) (١٩١٢) (١٩١٣) (١٩١٤).

فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا، والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها».

• عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد».

• وحديث الذي أوصى أولاده إذا مات أن يحرقوه، وأيضاً حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، وأيضاً الحديث الذي يخبر بفرح الله بتوبة عبده وغير ذلك مشهور على الألسن يتداوله الناس فرحة الله واسعة.

الذي لا يأمن جاره بوائقه

قال تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسِنَا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء/ ٣٦]

قال السعدي رحمه الله:

وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ أَي: الجار القريب الذي له حقان، حق الجوار، وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف.

وكذلك الْجَارِ الْجُنُبِ أَي: الذي ليس له قرابة، وكلما كان الجار أقرب بابًا، كان أكد حقًا.

فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة، والدعوة، واللطافة بالأقوال والأفعال، وعدم أذيته بقول أو فعل.

وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ قِيل: الرفيق بالسفر، وقيل: الزوجة، وقيل: الصاحب مطلقًا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة.

فعلى الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له، والوفاء معه في اليسر والعسر والمنشط والمكره، وأن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحبة تأكد الحق وزاد. اهـ

وليس هناك أقوى من صحبة الجار، وكلما قرب الجدار زاد الحق وثقلت المسؤولية، فإن كان ذا قرابة كان الحق أكد، والواجب أعظم.

عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»^(١) وفي حديث آخر: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه»^(٢)

يهتم الإسلام بحماية الجار من أذى جاره وفي الحديث السابق يبين عليه الصلاة والسلام خطورة من لا يأمن جاره بوائقه، لأن الأصل في الجار أن يأمن جاره، ولا يتصور في يوم من الأيام أن يخونه في شيء، لذا شدد عليه الصلاة والسلام التحذير من خيانة الجار في غير ما حديث.

والمأمل لحياة العرب في الجاهلية يجد الحرص على حفظ حقوق الجار والبعد عن خيانتة، وكانوا يفتخرون بذلك دائماً.

(١) البخاري: كتاب الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه رقم (٦٠١٦) والبوانق جمع بانقة وهي الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد الذي يأتي بقتة.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب: للتكليف على أن من خصل الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه رقم (١٦٩).

قال عنتره:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها
قال الشيخ أبو جهمرة:

وهو ما كانت الجاهلية ترعاه وتحافظ عليه وتفتخر بحفظه، وتعيب
تارك ذلك وتذمه. اهـ

فكيف وقد جاء الإسلام وهذب أخلاقهم أكثر مما كانوا عليه من
مروءة وحفظ للجار وعدم خيانتته.

وخيانة الجار من أخطر الأمور في المجتمع، فإذا كان الرجل
يتخوف من جاره أو لا يأمن جاره فإنه لا يقر له قرار، ويعيش في
قلق في كل لحظة بسبب هذا الهاجس المحزن، ولا يحس بهذا إلا من
ذاق مرارة سوء الجار وابتلي بجار لا يأمن بوائقه نسأل الله السلامة
والعافية. (١)

(١) (فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري/ ٥٢٦) د/ محمد عبدالله إبراهيم العيدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

* ما يستفاد من الحديث:

• بيان خطر خيانة الجار في المجتمع:
في قوله ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن... إلخ» ما يدل على خطر خيانة الجار وعظم عقوبته عند الله، وأن من أعظم الذنوب أن يخون الجار جاره بهتك عرضه، وأي بائقة أعظم من هذه، أو يؤذيه بأي إيذاء.

روي بإسناد صحيح أن بعض الصحابة قالوا: يا رسول الله: فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها قال: «هي في النار» قالوا: يا رسول الله: فلانة تصلي المكتوبات، وتصدق بالأتوار من الإقط ولا تؤذي جيرانها قال: «هي في الجنة».^(١)

وقد سأل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله عن أي الذي أعظم فقال ﷺ: «أن تجعل لله ندًا وهو خالقك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»^(٢)

• الفصاحة والبلاغة أسلوب من أساليب البيان:

(١) الترغيب والترهيب، باب: الترهيب من أذى الجار، رقم (٣٨٩١) طبعة بيت الأفكار.
(٢) البخاري: كتاب الأدب، باب: قتل الولد خشية أن يأكل معه، رقم (٦٠٠١).

في الحديث ما يبين فصاحته عليه السلام.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

في المتن جناس بليغ من جناس التحريف وهو قوله: «لا يؤمن» و«لا يأمن» فالأول من الإيمان والثاني من الأمان.

• حرص الإسلام على تهذيب أخلاق المدعوين:

وفي الحديث ما يدل على اهتمام الإسلام بتحلي المجاورين بالأخلاق الفاضلة فيما بينهم.

ومن أعظم الأخلاق بين الجيران أن يتحلى الجار بالأمانة مع جاره، إذ الأمانة صفة عظيمة من صفات المؤمنين حذر الله من خيانتها فقال تعالى: **الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا ءَامِنُونَ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿[الأنفال/ ٢٧].

• اهتمام الإسلام باستتباب الأمن في المجتمع المسلم:

إن التمسك بدين الله وتحكيم شرع الله سبب لاستتباب الأمن في المجتمع المسلم، ومتى كان المتجاورون متمسكين بدين الله فإن الأمن يسود في المجتمع المسلم.

وإذا ضعف الإيمان اختل الأمن في المجتمع المسلم، وكثر الاعتداء على العرض والمال والنفس وفي الحديث تربية للمجتمع المسلم على حفظ الأمن والحذر من أسباب زعزعته واختلاله.

• حث المسلمين على الفقه في الدين:

في قوله ﷺ: «والله لا يؤمن.. إلخ» وسؤال الصحابة عن المقصود ما يدل على حرص صحابة رسول الله ﷺ على تعلم أمور دينهم، وسماع الإجابة منه ﷺ عما أشكل عليهم، حيث أجابهم بأن المقصود هو الرجل الذي لا يأمن جاره بوائقه.

وهكذا صفة المسلم الحريص على الفائدة وآداب طالب العلم الحريص على الفقه في الدين.

قال النووي رحمه الله:

ومن آداب المتعلم (ألا يسوف في اشتغاله، ولا يؤخر تحصيل فائدة وإن قلت له إذا تمكن منها، وإن أمن حصولها بعد ساعة، لأن للتأخير آفات). اهـ

• نفي الإيمان الكامل:

قال ابن بطال رحمه الله:

وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول والفعل، ومراده الإيمان الكامل ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان. اهـ^(١)

* رسول الله ﷺ يوصي بالجار خيراً^(٢)

هذه طائفة نبوية من أقوال الرسول ﷺ يوصي فيها بالجار خيراً
عسى أن تكون زاداً لنا فيما بيننا:
قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث خصال من سعادة المرء المسلم في الدنيا: الجار الصالح،
والمسكن الواسع، والمركب الهنيء».

«إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله فأدوا إذا ائتمتم،
واصدقوا إذا حدثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم».

«أوصيكم بالجار».

«خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند
الله خيرهم لجاره».

«لقد أوصاني جبريل بالجار، حتى ظننت أنه يورثه».

«ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم».

^(١) (فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري/ ٥٢٥-٥٢٢) باختصار وتصرف د/ محمد عبدالله إبراهيم العيدي.
^(٢) جميع ما ورد من الأحاديث من صحيح الجامع للألباني ولقد تركت الإحالات والتخريجات رغبة في الاختصار ولوجودها موثقة في صحيح الجامع.

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره».

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره».

«والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه».

«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

«لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جدار».

«يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة».^(١)

فوالله! لأنا أعلمهم بالله

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢)

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى:

وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء

به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته،

(١) أي: لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئاً ولو أن تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب وهو "فرسن" حافر شاة.
(٢) (الحشر/٧).

وأن نص الرسول ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه. اهـ

ويدخل في ذلك أمر الرسول ﷺ بما يظنه البعض دون قدرتهم، فهم يطيقون أكثر من ذلك فيجب علينا الامتثال لأمره ﷺ، فالثواب على الأعمال من عند الله، ونحن مأمورون بامتثال أوامر رسول الله ﷺ، والمداومة عليها وإن استقلها البعض، ومع تقدم العمر يعلم الإنسان قيمة ما يطاق من الأعمال.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون. قالوا: إنا لسنا كهيتتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»^(١) وفي رواية أخرى: «فوالله لأنا أعلمهم بالله».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

والمعنى أنه كان ﷺ إذا أمرهم بما يسهل عليهم دون ما يشق خشية أن يعجزوا عن الدوام عليه، وعمل ما هو بنظير ما يأمرهم به من التخفيف، طلبوا منه التكليف بما يشق لاعتقادهم احتياجهم إلى

(١) البخاري: كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ "أنا أعلمكم بالله" رقم (٢٠) (فتح/٩٥/١).

المبالغة في العمل لرفع الدرجات دونه، فيقولون لسا كهيتك فيغضب من جهة أن حصول الدرجات لا يوجب التقصير في العمل بل يوجب الازدياد شكراً للمنعم الوهاب، كما قال في الحديث الآخر: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١) وإنما أمرهم بما يسهل عليهم ليدأوموا عليه كما قال في الحديث الآخر: «أحب العمل إلى الله أدومه»^(٢). اهـ.

وهذه قضية موجودة الآن بالفعل، فكم من مسلم يتحمس لطاعة من الطاعات فيبدأ بما يشق عليه وينشاط منقطع النظير ثم لا يلبث أن يفتر وينقطع بعد ذلك، ويصدق في حقه الحديث القائل «إن المنبت - المجد في السير - لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

* ما يستفاد من الحديث:

- (١) إن الأعمال الصالحة ترقى صاحبها إلى المراتب السنية من رفع الدرجات ومحو الخطيات، لأنه ﷺ لم ينكر عليهم استدلالهم ولا تعليلهم من هذه الجهة.

^(١) البخاري: كتاب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ الليل رقم (١١٣٠) (فتح/١٨/٣).
^(٢) البخاري: كتاب الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله أدومه رقم (٤٣) (فتح/١٣٦/١).

(٢) إن العبد إذا بلغ الغاية في العبادة وثمراتها كان ذلك أدعى له إلى المواظبة عليها، استبقاءً للنعمة واستزادةً لها بالشكر عليها.
قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(١) وقال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)
فالحسنة ثوابها الحسنة بعدها نسأل الله تعالى الهداية التامة.

(٣) الوقوف عند ما حد الشارع من عزيمة ورخصة، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له، والله تبارك وتعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، ولا يعني هذا أن الإنسان ينبغي عليه أن يتبع رخص المذاهب كلها، والموفق من وفقه الله.

(٤) الأولى في العبادة القصد والملازمة، لا المبالغة المفضية إلى الترك كما جاء في الحديث «المنبت - أي المجد في السير - لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

(١) (محمد/١٧).
(٢) (العنكبوت/٦٩).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «فلا تفعل، صُمْ وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن لمسك عليك حقاً، وإن لمسه لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله، فشددت فشدد عليّ». قلت: يا رسول الله إني أجد قوة، قال: «فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه». قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: «نصف الدهر». فكان عبدالله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ.^(١)

(٥) التنبيه على شدة رغبة الصحابة في العبادة وطلبهم الازدياد من الخير، وترى العجب العجاب عندما تقرأ سيرهم وترى قدر اجتهادهم في فعل جميع أنواع الطاعات.

(٦) مشروعية الغضب عند مخالفة الأمر الشرعي، والإنكار على الحاذق المتأهل لفهم المعنى إذا قصر في الفهم، تحريضاً له على التيقظ.

(١) البخاري: كتاب الصوم: باب: حق الجسم في الصوم رقم (١٩٧٥) (فتح/٤/٢٧٣).

(٧) جواز تحدث المرء بما فيه من فضل بحسب الحاجة لذلك عند الأمن من المباهاة والتعاضم، وكل امرئ أعلم بحقيقة نفسه.

(٨) بيان أن لرسول الله ﷺ رتبة الكمال الإنساني لأنه منحصر في الحكمتين العلمية والعملية، وقد أشار إلى الأولى بقوله «أعلمكم» وإلى الثانية بقوله: «أتقاكم».

(٩) رحمة النبي ﷺ وشفقته على أمته، فقد كان يخفف عليهم ويأمرهم بما يطيقون من الأعمال، والأمثلة على ذلك كثيرة والحمد لله وهي مشهورة من قوله وفعله.

فمن قوله هذا الحديث السابق "كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون.." وأيضاً حديث عبد الله بن عمرو بن العاص السابق.

ومن فعله أنه ﷺ ما خَيْرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ونظائر هذا في السنة كثير.

(١٠) منزلة النبي العظيمة عند الله تبارك وتعالى فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

* والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/ ١٣٥]

قال الشيخ أحمد فرح عقيلان رحمه الله:

ومن صفات المتقين: أنهم قد يقعون في الذنوب، أو يظلمون أنفسهم ببعض المعاصي لكن أنفسهم اللوامة وضمائرهم الحية تردهم حالاً إلى التوبة النصوح، فيذكرون الله، ويستغفرون ربهم، ويندمون على الذنب ويقلعون عنه، ويتبعون السيئة الحسنة فتمحوها، فتغسل التوبة الحوبة، وتجبّ التوبة ما قبلها، ويبدل الله سيئاتهم حسنات لأنهم لجؤوا إلى رحاب الله الكريم، واثقين أنه جل جلاله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ [الشورى/ ٢٦] وما أجمل الاستفهام البليغ في قوله تعالى: وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ؟ إنه استفهام يفيد النفي، فما للذنوب من يغفرها، ولو كانت كالجبال إلا الله؟!!

ومن كرم الله تعالى، أنه لا يكتفي بمغفرة ذنب التائب المستغفر المخلص في توبته، بل إنه يبدل سيئاته حسنات، ويفرح بتوبة عبده فرحة من أضل راحلته في صحراء وعليها زاده، ثم لما أعياه البحث إذا هي واقفة عند رأسه وعليها كامل زاده.

وبعد أن وعد الله هؤلاء التائبين الجنة، ختم الآيات ختامًا في غاية البلاغة بقوله: ونعم اجر العاملين ليطل التائبون مواصلين للعمل الصالح بعد توبتهم، مستمرين في سلوك سبيل الهدى، إذ لا يكفي من التائب أن يتوب، ثم يعيش على الأمان بل لا بد من المضي قدمًا في طاعة ربه، وشكره على ما أكرمه به من قبول توبته يقول الله جل وعلا:

﴿وَأَنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾^(١) اهـ [طه/٨٢].

وإذا علمنا أن رسول الله ﷺ والذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يتوب ويستغفر عشرات المرات كل يوم وليلة كان ذلك دافعًا قويًا، وسببًا عظيمًا يدعونا إلى التوبة والاستغفار، والرجوع إلى الله

(١) (من لطائف التفسير/ ١/ ١٦٨، ١٦٩) أحمد فرح عقيلان، دار اليقين، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

الواحد القهار، كيف لا وهذا هو حال رسولنا وحال نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

عن أبي هريرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(١)

عن الأغرّ المزني ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»^(٢)

إن المسلم في حياته بأمس الحاجة إلى الاستغفار من الذنوب التي يرتكبها في أعماله وتصرفاته، وما من مسلم إلا وهو معرض لارتكاب الذنوب والمعاصي صغيرة كانت أم كبيرة.

ومن فضل الله على عباده أن جعل لهم طريقاً للرجوع عن الذنب، ويسر لهم سبل التوبة والاستغفار من الذنوب جميعاً، وليست التوبة والاستغفار قاصران على بعض الذنوب دون بعض، بل إن الله تعالى يقبل التوبة من جميع المعاصي، ويغفر كل الذنوب بشرط صحة التوبة والاستغفار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على يسر هذه الشريعة الغراء، وعظم رحمة ومغفرة الله تعالى.

(١) البخاري: كتاب الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة رقم (٦٣٠٧).
(٢) مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب: استغفار الاستغفار والاستكثار منه رقم (٦٧٩٩).

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لَنَا مَا قَدَمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا وَمَا أَسْرَرْنَا
وَمَا أَعْلَنَّا وَمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، اللَّهُمَّ آمِينَ.

* مَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١ - المداومة على الاستغفار:

لقد أمر الله نبيه بالاستغفار فقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/١٠٦] وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر/٣] وأمر الله جل وعلا عباده
المؤمنين بذلك فقال عز من قائل: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [المزمل/٢٠].

وبين عليه الصلاة والسلام محبة الله للمستغفرين فقال ﷺ:
«والذي نفسي بيده لو لم تذنّبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنّبون
فيستغفرون الله فيغفر لهم»^(١)

وإذا كان رسول الله ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
من هديه أن يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة،
فكيف بغيره من المؤمنين المقصرين.

(١) سبق تخريجه وهو عند مسلم.

٢- دفع إشكال في استغفار النبي ﷺ وهو معصوم

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي ﷺ وهو معصوم، والاستغفار يستدعي وقوع معصية.

وأجيب بعدة أجوبة منها: قول ابن بطال: الأنبياء أشد الناس اجتهادًا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير. اهـ

وهذا ما يؤيده قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «أفلا أكون عبدًا شكورًا». فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال: «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا».

وفي هذا العمل منه ﷺ تشريع لأُمَّته بملازمة الاستغفار والإنابة إلى الواحد القهار.

* بعض فوائد الاستغفار:

(١) حصول المغفرة من رب العالمين، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

(٢) أنه سبب لسعة الرزق قال نوح عليه الصلاة والسلام:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَبُعِذَ كُمْ بِأَمْوَالِ وَيْنٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح/ ١٠، ١٢].

(٣) أنه سبب لدفع المصائب ورفع البلايا، فالمصيبة تنزل في كثير من الأحيان بذنب، فإذا أحدث العبد استغفارًا وتوبةً نصوحًا ترفع المصيبة بإذن الله كما قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

(٤) الحفظ من عذاب الله أو رفع العذاب كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال/ ٣٣].

(٥) دخول الجنة الذي وعد به رسول الله ﷺ كما في سيد الاستغفار ﷺ: «ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة».

فالعبد بحاجة دائماً إلى عون الله ورحمته مهما قدم من الأعمال الصالحة، وفي الاستغفار إثبات العجز عن الكمال في الطاعة والقربات.^(١)

(٦) أن يتذكر المسلم دور الاستغفار في تهذيب النفس وتطهيرها وتركيتها.

وأن يدرك أنه يكون سبباً في تفريج أي هم أو كرب.

وأن يعلم أنه يكون سبباً في بركة العمر أو الأجل.

^(١) (فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري/ ٩٢٤-٩٣٣) د/ محمد عبدالله العدي، باختصار وتصرف.

- واقعية هذا الدين:

إذ ينظر الإنسان لا على أنه مَلَك، بل على أنه بشر يخطئ ويصيب، ودواء هذا الخطأ إنما يكون بالتوبة والاستغفار.

- اهتمام الإسلام بالجانب الروحي في الإنسان:

وذلك بتشريع ما يغذيه ويقويه، عكس المذاهب البشرية القائمة الآن، التي أغفلت الروح من حسابها، فصارت الحياة أشبه بغابة ممتلئة بالوحوش والحيوانات المفترسة، والسيادة أو الغلبة فيها للأقوى.^(١)

* استغفروا ربكم

قال رسول الله ﷺ: ^(٢)

«إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك».

«طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً».

«كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون».

«ما أصبحت غداً قط إلا استغفرت الله تعالى فيها مائة مرة».

«من أحب أن تسره صحيفته، فليكثر فيها من الاستغفار».

(١) (توجيهات نبوية على الطريق/ ٩٣) د/ السيد محمد نوح، دار اليقين، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١٨هـ.
(٢) جميع ما ورد من الأحاديث من صحيح الجامع وتركزت الإحالات رغبة في الاختصار، انظر (ترتيب صحيح الجامع على الأبواب الفقهية/ ٣/ ٣٧٤، ٣٧٥) رتبته/ عوني نعيم الشريف.

«يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير».

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

قال السعدي رحمه الله:

أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين من الله عليهم بالإيمان، والاعتصام بمجبله أمة أي: جماعة يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وهم اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه. وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه.

ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس

وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج، وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكايل والموازين، وتفقد أهل الأسواق، ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ.. إلخ.

أي: لتكون منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين ولهذا قال تعالى عنهم: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ 'الفائزون بالمطلوب الناجون من المرهوب. اهـ

ومن هنا يتضح للمسلم خطورة العزوف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه يترتب عليه جميع الخير المذكور في هذه الآية وغيرها وعكسه كذلك، لذلك شدد النبي ﷺ على إحياء هذه الشعيرة، وحذر بيمينه أننا إن لم نقم بهذه الفريضة فنحن معرضين للعذاب الشديد، وهذا ما نراه ظاهراً في هذا الموقف.

عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»^(١)

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل عمله، لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد.

(١) حسن: رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم (٢١٦٩) وحسنه الألباني بالرقم السابق، طبعة بيت الأفكار.

وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإننا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عَمَلُهُ وعِلْمُهُ، وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مدهانة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعزّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم.

فمن سعى في تلافي هذه الفترة، وسدّ هذه الثلمة، إما متكفلاً بعملها أو متقلّداً لتنفيذها، مجدّداً لهذه السُّنة الدائرة، ناهضاً بأعبائها ومتشمرّاً في إحيائها كان مُستأثراً من بين الخلق بإحياء سُنّة أفضى الزمان إلى إِمَاتَتِها، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القُرب دون ذروتها.^(١)

* ما يستفاد من الحديث:

◀ ماهية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيشمل الاعتقاد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحوها.

(١) (إحياء علوم الدين/٢/٣٢٣).

ويشمل العبادات، والنظم والتشريعات، ويشمل الأخلاق، وسمي معروفاً لأن الفطر المستقيمة، والعقول السليمة تعرفه، وتشهد بخيره وصلاحه.

ومعنى الأمر بالمعروف: الدعوة إلى فعله والإتيان به، مع الترغيب فيه، وتمهيد أسبابه وسبله بصورة تثبت أركانه، وتوطد دعائمه، وتجعله السمة العامة للحياة جميعاً.

والمنكر: اسم جامع لكل ما يبغضه الله ولا يرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فيشمل الشرك بكل ألوانه وصوره، ويشمل الأمراض القلبية من الرياء والحقد والعداوة والبغضاء ونحوها.

﴿ فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(١) السلامة من العقاب الإلهي، والظفر برضوان الله وجنته، إذ

يقول سبحانه ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ

يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّوْءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَئِيسٍ

بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف/١٦٥].

(٢) حماية الأرض من أن تتحول إلى بؤرة من الشر والفساد الذي يصعب معه تحقيق معنى العبودية لله ﷻ، إذ يقول سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة/٢٥١].

(٣) إقامة الحجة على المصرين والمعاندين، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/١٦٥].

(٤) للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثره التشريعي في حراسة جميع الشؤون العامة والخاصة في الأمة.

◀ عواقب التقصير في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
١- التعرض للغضب والسخط الإلهي في الدنيا المتمثل في اللعن والطرده من رحمة الله مع التباغض والفرقة.

عن أبي موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ قال: «إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا عَمِلَ فِيهِمُ الْعَامِلُ الْخَطِيئَةَ، فَنَهَاةُ النَّاهِي تَعْزِيرًا، فَإِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَالِسَهُ وَوَاكَلَهُ، وَشَارِبَهُ، كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى

خطيئة بالأمس، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض على لسان دواد وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على أيدي المسيء، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم»^(١)

٢- تمكن الباطل وسيادته، الأمر الذي يؤدي إلى أن تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد.

٣- إعطاء الكسالى والمصرين من الناس المبرر للقعود، بدعوى أنهم لم يجدوا من يرشدهم ويأمرهم، وينهاهم ويدلهم على الله.

٤- فقدان الناس لمعنى الأمن في أنفسهم:

بل وفي أهليهم، وذويهم وأموالهم الأمر الذي يؤدي إلى الكسل والتواني بل والقعود عن أداء الواجب وقد أشار الحديث إلى كل هذه

^(١) مجمع الزوائد: كتاب الفتن، باب وجوب إنكار المنكر (٢٦٩/٧) وعزاه إلى الطبراني قائلا، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

العواقب في قوله ﷺ: «أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

* العوامل التي تساعد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- تذكر أنه أمر الله ورسوله، ولا يسع المسلم الصادق أمام أمر الله ورسوله إلا أن يقول: سمعنا وأطعنا.

٢- النظر في الفوائد المترتبة على القيام به.

٣- دوام النظر في الكتاب والسنة لمعرفة مصير الأمم التي أعرضت عن القيام بهذا الواجب، وحسن عقبى الأمم التي قامت بهذا الواجب.

٤- دوام المطالعة لتاريخ الأمة الإسلامية للوقوف على مدى عناية هذه الأمة بهذا الواجب، وعدم توانيها أو تقصيرها فيه لحظة واحدة إلى عهد قريب جداً، ونظام الحسبة خير شاهد على ذلك.

٥- اليقين بأن هذا الواجب لن يقصر من عمر أو يضع من رزق، كما أن القعود عنه لن يطيل من عمر أو يزيد في رزق،

فإن الآجال والأرزاق بيد الله ﷻ، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها.

٦- مجاهدة النفس لتتحلى بشروط وآداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر الذي ييسر على النفس سبيل القيام بهذا الواجب من دون تقصير ودون توانٍ.

*** اعتماد أسلوب التخويف من العاقبة في التربية:**

وهذا واضح في الحديث وفي القرآن الكريم، فإن مادة الإنذار تكررت في القرآن الكريم نحواً من مائة وعشرين مرة.

*** عظم منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له منزلة عظيمة عند الله ورسوله، حتى إن الله ليغضب على المقصرين فيه، المتهاونين به، غضباً يتمثل في إنزال العقاب بهم، وعدم إجابة الدعاء لهم إذا هم دعوه. (١)

(١) (توجيهات نبوية على الطريق/ ٢٧٩-٣٠٨) باختصار شديد وتصرف، د/ السيد محمد نوح، دار اليقين، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١٨هـ.

يا حنظلة! ساعة وساعة

الإسلام دين واقعي لا يخلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع، ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة مثني وثلاث ورباع، ولكنه يعاملهم بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

لذلك لم يفرض على الناس -ولم يفترض فيهم- أن يكون كل كلامهم ذكراً وكل صمتهم فكراً، وكل سماعهم قرآناً، وكل فراغهم في المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون.

ولقد بلغ السمو الروحي ببعض أصحاب النبي ﷺ مبلغاً ظنوا معه أنه الجد الصارم، والتعبد الدائم لا بد أن يكون ديدنهم، وأن عليهم أن يديروا ظهورهم لكل متع الحياة، وطيبات الدنيا، فلا يلهون، ولا يلعبون بل تظل أبصارهم وأفكارهم متجهة إلى الآخرة ومعانيها بعيدة عن الحياة وهوها.^(١)

(١) (الحلال والحرام/ ٢٦٤) للقرضاري.

وسترى في هذا الموقف كيف أنه ﷺ صحح تلك المفاهيم، وفي نفس الوقت أكد على الحقيقة التي يجب أن تغرس في النفوس وهي فضل الذكر، وفضل الإخلاص لله رب العالمين، وذلك بقوة اليقين وكذا صدق الالتجاء إلى الركن الركين جل وعلا، وأقسم أن الإنسان لو ظل على هذه الحالة لصافحته الملائكة لشدة اليقين والإيمان الذي عنده، وإلى الموقف النبوي الكريم.

عن حنظلة الأسدي رحمه الله قال: -وكان من كتاب رسول الله ﷺ- قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة! قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله! نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! إن لو تدومون على ما تكونون عندي،

وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن، يا حنظلة! ساعة وساعة» ثلاث مرات^(١)

إن في جنس الإنسان جانبًا لا بد من مراعاته، وحاجة -غير حاجته إلى الجِد والانضباط- لا بد من إشباعها، وأداء حقها، وإلا كانت النتيجة هي الفشل التام، والعجز والقيود المطلق عن أنه يحصل القليل الأقل في باب الجِد والعمل.

ذلك الجانب هو الاستجمام والترويح والترفيه.

إن المواظبة على الحزم والجِد في كل حال شاقة على النفس، وتورث الملل والضيق ذلك لأن النفس مجبولة على المراوحة بين الأشياء.

فهي تنتقل من عمل إلى آخر، ومن قول إلى قول، وتختلف فيما بين الجِد والفكاهة، وتجد راحتها في عمل ما ترغب في القيام به، ولا تكاد تتقنه حتى تملّه، وتبحث عن عمل آخر، ولا تزال مصغية إلى قول معين، فإذا ملّت طلبت حديثًا من نوع آخر.

(١) مسلم: كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم (٦٩٠٠) (نوي/١٧/٦٩).

ولعل هذا التحول في النفس هو الذي يعنيه الرسول ﷺ من خلال هذا التوجيه لصحابته كما في الحديث السابق.

* ما يستفاد من الحديث

١- فعل الإنسان متوسط بين عالم الملائكة وعالم الشياطين:

قال الشيخ الأبي رحمه الله عقب هذا الحديث:

سنة الله تعالى في عالم الإنسان أن فعله متوسط بين عالم الملائكة وعالم الشياطين، فمكّن الملائكة من الخير بحيث يفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومكّن الشياطين من الشر والإغواء بحيث لا يغفلون، وجعل عالم الإنسان متلوّثاً، وإليه أشار صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»^(١).

والرواية الثانية لمسلم - رحمه الله - لحديث حنظلة ؓ أوضح ما يكون وأدقّ في الدلالة على جبلية الترويح في النفس الإنسانية مهما حاول الإنسان الانفلات من إنسانيته وطبيعته البشرية.

(١) (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم/ ١٥٦/٧).

قال حنظلة: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا فذكر النار، قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة، قال: فخرجت فلقيت أبا بكر.. الحديث.

فإقراره ﷺ لتلون نفس حنظلة ﷺ وتقلبها بين مجالات الجسد وأنماط العبادات من جهة، وبين متطلبات النفس من مرح وانبساط من جهة أخرى؛ اعتراف شرعي ودليل سماوي على اعتبار الترويح والترفيه من كمالات النفس ولوازمها الأساسية لأداء حقوق الخالق والمخلوق بإيقاع ثابت مستمر على ممر الأيام.

٢- عدل الشريعة الإسلامية وكمالها:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها، أن الله ﷻ له حق فيُعطى حقه ﷻ، وكذلك للنفس حق فتُعطى حقها، وللأهل حق فيعطون حقوقهم، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، ويتعبد الله ﷻ براحة، لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها تعب وملّ، وأضاع حقوقاً كثيرة.

٣- والتنويع بين المطالعات أمر مهم:

فإذا طلب الإنسان العلم ورأى في نفسه مللاً في مراجعة كتاب ما فلينتقل إلى كتاب آخر، وإذا رأى من نفسه مللاً من دراسة فن معين فإنه ينتقل إلى دراسة فن آخر، وهكذا يريح نفسه، ويحصل علماً كثيراً.

أما إذا أكره نفسه على الشيء حصل له من الملل والتعب ما يجعله يسأم وينصرف إلا ما شاء الله فإن بعض الناس يكره نفسه على المراجعة والمطالعة والبحث مع التعب، ثم يأخذ على ذلك ويكون هذا أمراً دائماً له، ويكون ديدناً له.^(١)

٤- ينبغي للعبد مراقبة نفسه وتفقد أحوالها:

وهذا ظاهر من فعل أبي بكر وحنظلة رضي الله عنهما، فلقد ذهبا إلى النبي ﷺ يشكوان له ما ظنا أنه نفاق حتى جلى لهم الحبيب ﷺ الأمور.

وهكذا يجب على المسلم أن يراقب نفسه في جميع الأحوال في يسرها وعسرها، وفي منشطها ومكرها، ويجاهدها حتى تستقيم على

(١) (شرح رياض الصالحين/١/٣٩٨، ٣٩٩) دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

دين الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس / ٩-١٠].

٥ - يجوز قول سبحان الله عند التعجب من شيء:

وهذا واضح في الحديث، فلقد استغرب أبو بكر ؓ كثيراً من كلام حنظلة ؓ، كيف يتهم نفسه بالنفاق؟ فسبح الله تعالى!

وكذلك ينبغي للمرء أن يرد ما في نفسه من تعجب أو انبهار أو تردد أو تذمر إلى الله سبحانه، لا كما يفعل بعض الناس في البلاد التي انتشرت فيها صور الشرك من أضرحة يُطاف حولها وغير ذلك، ترى بعضهم إذا ما تعجب من أمر قال ما ينبئ عن معتقده الرديء فتراه يردد أسماء بعض من يسمون بالأولياء وكأنه يستغيث بهم بل فعلا هي استغاثة فتراه يقول يا (بدوي) أو يا (دسوقي) أو يا (رفاعي) وهكذا فالله المستعان وعليه التكلان.

٦ - ينبغي للعالم أن يكون حكيماً في معالجة الأمور:

فأنت ترى النبي ﷺ لم ينهر ولم يزجر حنظلة ؓ عندما قال له ما قال، بل سألته واستفسر منه بشأن فقال: «وما ذاك؟» فلم يحكم عليه

مباشرة بما تستحقه هذه اللفظة، بل وقف على الحقيقة أولاً ثم بين ما التبس عليهم.

٧- قلوب العباد تتغير من حال إلى حال:

نعم، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والقلوب أشد تقلباً من غليان الماء في القدر.

فعلى المسلم أن لا يركن إلا إلى الله، ويسأل الله الثبات على كل، فلقد كان النبي ﷺ أكثر ما يدعو به قوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

وهاهم الصحابة رضوان الله عليهم، الواحد منهم يُنكر قلبه أحياناً، ويذهب إلى طبيب القلوب ﷺ حتى يداوي جراحه، ويللم أتراحه. فالقلب عند الموعظة في حال، وفي الصلاة في حال، وفي النوائب في حال، وفي الرخاء في حال وكذا في الشدة، والمكره والمنشط، فإما مثبت الإيمان ثبت إيماننا، وإما مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

ترهيب الزوجة من هجرها لفراش زوجها

لقد تضافرت الجهود العدائية ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان، ومن أشد هذه الهجمات الشرسة التي تريد النيل من شباب الأمة هذه اللوثة الفكرية، والحملة الفضائية التي تبث سمومها في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي.

حتى إن هذه الدشوش التي تبث إلينا الإعلام الغربي، والبرامج المنحلة دمرت كثيراً من العقول التي يُفترض لها أن تكون حصناً للأمة الإسلامية ضد أعدائها، حتى إن المرء أحياناً لا يكاد يفرق بين بعض الشباب والفتيات للتخنث الذي أصاب بعضهم والعياذ بالله تقليداً لهذا الغرب الكافر الملحد.

فالشهوات صارت هي الغاية عند فئة ليست بالقليلة من أبناء المجتمع الإسلامي، وتعرف هذه الحقيقة إذا ما رأيت وتأملت تلك الفئات وهي عاكفة حول شاشات هذه الأطباق الفضائية التي تدمر ولا تبني، فهي تهدم الأخلاق الحسنة جملةً وتفصيلاً، وتكسو من يعكف عليها القحة ومرذول الأخلاق جميعاً.

فمن هنا كان على المرأة المسلمة التي رزقها الله بزواج أن تحافظ عليه، وأن تحاول جاهدةً في غض طرفه عن الحرام وذلك بتمكينه مما أحل الله له حتى لا يسقط في مهب هذه الرياح الهوجاء، وعندها لا ينفع الندم.

فمن أجل هذا وغيره حذر النبي ﷺ المرأة المسلمة أن تهجر فراش زوجها لهذه العلة وغيرها ورهبها من مغبة هذا العصيان الآثم بقوله فانصتي أختي إلى كلام النبي ﷺ حتى تتجني العذاب واللعن من الملائكة ومغبة هذا اللعن هو الطرد من رحمة الله والعياذ بالله.

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»^(١)

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»^(٢)

المرأة المؤمنة الحصيفة العاقلة إذا ما تغير طبعها، وأرادت أن تهجر فراش زوجها، وتمتنع وتأبى عليه، فما عليها إلا أن تذكر لعنة الملائكة

^(١) مسلم: كتاب النكاح، باب: تحريم امتناعها من فراش زوجها، رقم (٣٥٢٥) (٣٥٢٦) (نوي/٢٤٩/١٠).
^(٢) مسلم: كتاب النكاح، باب: تحريم امتناعها من فراش زوجها، رقم (٣٥٢٥) (٣٥٢٦) (نوي/٢٤٩/١٠).

التي تؤمن بها، وقبل ذلك عليها أن تستشعر غضب وسخط الذي في السماء ﷻ، فإن ذلك يزرعها، ويهيئها لطاعة زوجها، فإنه جنتها ونارها، فلتنظر أين هي من ذلك.

ويمكن أيضاً أن يقال إن هناك أموراً تغضب الرجل أكثر من امتناع زوجته عليه، فعلى المرأة التقية أن تتجنب ذلك، وترجع عن كل ما يؤذي زوجها، وإلا فما الذي يؤمنها سخط الله تعالى ولعنة الملائكة إياها والعياذ بالله.

* ما يستفاد من الحديث:

١ - اللعنة هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله:

معنى لعن الملائكة أنها تدعو على هذه المرأة باللعنة، واللعنة هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فإذا دعاها إلى فراشه ليستمتع بها بما أذن الله له فيه فأبت أن تحيى، فإنها تلعنها الملائكة -والعياذ بالله- أي تدعو عليها باللعنة إلى أن تصبح.

٢ - غضب الله تعالى على الهاجرة لفراش زوجها:

واللفظ الثاني: أنها إذا هجرت فراش زوجها، فإن الله تعالى يغضب عليها حتى يرضى عنها الزوج، وهذا أشد من الأول، لأن

الله تعالى إذا سخط فإن سخطه أعظم من لعنة الإنسان، نسأل الله العافية.

٣- الله يغضب حتى يرضى الزوج:

قال ﷺ: «إلا الذي كان في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» أي الزوج، وهناك قال: «حتى تصبح».

أما هنا: فعله برضى الزوج، وهذا قد يكون أقل، وقد يكون أكثر، يعني ربما يرضى الزوج عنها قبل طلوع الفجر، وربما لا يرضى إلا بعد يوم أو يومين، المهم ما دام الزوج ساخطاً عليها فإن الله ﷻ ساخط عليها.

وفي هذا دليل على عظم حق الزوج على زوجته، ولكن هذا في حق الزوج القائم بحق الزوجة، أما إذا نشز ولم يقم بحقها، فلها الحق أن تقتصر منه وألا تعطيه الحق كاملاً، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل/١٢٦].

لكن إذا كان الزوج مستقيماً قائماً بحقها فنشزت هي وضيعت حقه فهذا جزاؤها إذا دعاها إلى فراشه فأبت أن تأتي.

٤ - الله ﷻ في السماء فوق عرشه، فوق سبع سموات:

في هذا الحديث: دليل صريح لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وسلف الأمة من أن الله ﷻ في السماء هو نفسه جل وعلا، فوق عرشه، فوق سبع سموات، وليس المراد بقوله في السماء في ملكه في السماء، بل هذا تحريف للكلم عن مواضعه.

هذه جارية أمة مملوكة في عهد النبي ﷺ أراد سيدها أن يعتقها، فقال النبي ﷺ: «ادعها» فجاءت الجارية، فقال لها النبي ﷺ: «أين الله؟» قالت: الله في السماء. قال: «من أنا» قالت: أنت رسول الله، قال لسيدها: «اعتقها فإنها مؤمنة».

المهم: أن من عقيدتنا التي ندين الله بها أن الله ﷻ فوق كل شيء، وهو القاهر فوق عباده، وأنه على العرش استوى، وأن العرش على السموات مثل القبة، كأنه قبة، أي: خيمة مضروبة على السموات والأرض، والسموات والأرض بالنسبة للعرش ليست بشيء.

فهذه عقيدتنا التي نسأل الله تعالى أن نموت عليها ونبعث عليها، هذه العقيدة التي يعتقدها أهل السنة والجماعة بالاتفاق.^(١)

(١) (شرح رياض الصالحين/١/٦٦٩، ٦٧٠) لابن عثيمين رحمه الله.

٥- وجوب طاعة الزوجة لزوجها:

خاصةً إذا دعاها لفراشه ولم يكن بها عذر، لأن أقوى الأمور التي تشوّش على الرجل داعية النكاح، ولذلك حضّ الشارع الحكيم النساء على مساعدة الرجل في ذلك، لغض بصره، وحفظ فرجه.

ما يباح به دم المسلم

من الضروريات التي جاء الدين بالمحافظة عليها، والعناية بها حفظ النفس، ومن ثم أوجب العناية بتوفير كل ما تتحقق به حمايتها وبقاؤها.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء/ ٢٩]

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام/ ١٥١]

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ ﴿ [المائدة/ ٣٢]

وغير ذلك من الآيات كثير في كتاب الله تعالى أما إذا كان في بقاء
هذه النفس فساد الدين، أو إزهاق الأنفس الكثيرة، فيتعين حينئذ
الخلاص منها تقديمًا للمصلحة الأعظم على المصلحة الأدون،
وللمصلحة الأعم على المصلحة الأخص.

وهناك حالات ذكرها المعصوم ﷺ تبيح دم المسلم وتحلها، وهي
من الخطورة بمكان، لذلك حذر النبي ﷺ بمفهوم المخالفة من بقاء
هذه الفئات تسعى على وجه الأرض، وحض على الخلاص منها
نشرًا لكلمة الله، وتحقيقًا للأمن والأمان بين المسلمين.

عن عبدالله قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «والذي لا إله
غيره! لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول
الله، إلا ثلاثة نفر: التارك للإسلام، المفارق للجماعة أو الجماعة -
شك فيه أحمد- والثيب الزاني، والنفس بالنفس»^(١)

(١) مسلم: كتاب القسامة والمحاربين، باب: ما يباح به دم المسلم، رقم (٤٣٥٣) (نوي/١١/١٦٧).

الإسلام ينشد مجتمعاً طاهراً آمناً خالياً من الفواحش والمنكرات والموبقات المهلكات، يأمن فيها المسلم على نفسه وأهله وماله ودينه، ويجيا حياة الطهر والعفاف، ويعيش هادئ النفس، مطمئن القلب، مرتاح البال.

وما ذكره الحبيب ﷺ باستحلال دماء من ذكرهم في الحديث إذا خلت منهم الأرض عمّ ما ذكرته آنفاً من الأمن والرخاء، وصفاء العقيدة وغير ذلك من مظاهر السعادة والسرور.

* ما يستفاد من الحديث:

١ - حرمة دم المسلم:

وهذا ظاهر من قوله وقسمه ﷺ: «والذي لا إله غيره! لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا ثلاثة نفر...» فما دام أن المسلم قد استقام على دينه ولم يقع فيه هذه الموبقات التي تُسفك دمه فيجب الحفاظ عليه، والحذر ثم الحذر من قتله أو سفك دمه لأن الله ﷻ نهى عن ذلك أشد النهي فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء/٩٣]

فهل سمعنا عن مثل هذا العقاب الإلهي لأي كبيرة مهما عظمت إلا في هذا الوطن؟

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان/ ٦٨-٧٠]

ومن قتل يُقتل، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٩].

٢- قتل التارك لدينه المفارق للجماعة:

قال النووي: وهذا عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت
فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام.

قال العلماء: ويتناول أيضاً كل خارج عن الجماعة ببدعة، أو بغي
أو غيرهما، وكذا الخوارج والله أعلم.

واعلم أن هذا عام يخص منه الصائل ونحوه، فيباح قتله في الدفع، وقد يجاب عن هذا بأنه داخل في المفارق للجماعة، أو يكون المراد لا يحل تعمد قتله قصداً إلا في هذه الثلاثة والله أعلم. اهـ

٣- الزاني الشيب يُقتل رجماً:

لحديث عمر رضي الله عنه قال: ”إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأتها، وعقلتها، ووعيتها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى، فالرجم حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت به البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف: وقد قرأتها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم“ متفق عليه.

والآيات والأحاديث في الزجر عن الزنى كثيرة جداً تُنظر في مظانها.

٤- القاتل عمداً يُقتل إذا لم يَغْفُ عنه أولياء الدم:

لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ
بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ
فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٧٨]
قال السعدي رحمه الله:

بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص فقال: وَلَكُمْ
فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ أَي: تنحqn بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء،
لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا
رؤي القاتل مقتولا اندعر بذلك غيره وانزجر.

فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم يحصل انكفاف الشر
الذي يحصل بالقتل وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية
والانزجار ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، وذكر (الحياة)
لإفادة التعظيم والتكثير. اهـ

لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا.. رأيتم الجنة والنار

تأمل وتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم، يسقون من رحيق مختوم متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل، ومحفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالخور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان، آمانات من الهرم، مقصورات في الخيام، ثم يطاف عليهن وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين يطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون، في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم، لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون، وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون، فهم فيما اشتت أنفسم خالدون، لا يخافون فيها ولا يجزنون وهم من ريب المنون آمنون، فهم يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنًا وخمرًا وعسلًا.

فيا عجباً ممن يؤمن بدار هذه صفتها، ويوقن بأنه لا يموت أهلها، ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها، ولا تنظر الأحداث بعين التغير إلى أهلها، كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها، ويهنأ بعيش دونها.

والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته، كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متمتعون، لهم فيها ما يشتهون وهم بفناء العرش يحضرون، وإلى وجه الله الكريم ينظرون. اهـ^(١)

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده! لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟ قال: «رأيتم الجنة والنار»^(٢)

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... والذي نفس محمد بيده، لقد أدنيت الجنة مني حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أنقيها خشية أن تغشاكم، حتى رأيتم فيها امرأة من حمير تُعذب في هرة ربطتها فلم

(١) (إحياء علوم الدين ١٥٣/٥) للغزالي، المكتبة العصرية، بيروت.
(٢) مسلم: كتاب الصلاة، باب: تحریم سبق الإمام .. رقم (٩٦٠) (نوي/٤/٣٧١).

تدعها تأكل من خشاش الأرض، فلا هي أطعمتها ولا هي سقتها حتى ماتت، فلقد رأيتها تنهشها إذا أقبلت وإذا ولّت تنهش أليتها...»^(١)

وفي رواية للبخاري قال رسول الله ﷺ: «....إني رأيت الجنة، فتناولت عنقودًا، ولو أصبته لأكلت منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار، فلم أرَ منظرًا كالיום قط أفظع.»^(٢)

يحذرنّا الإمام الغزالي من النار التي رآها النبي ﷺ ويصفها رحمه الله بقوله: فأسكنوا -أي أهل النار- دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك.

قد شدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها، يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإننا لا نعود.

(١) صحيح: رواه النسائي، كتاب الكسوف، ١٤-نوع آخر، رقم (١٤٨٢) وصححه الألباني بالرقم السابق طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٢) البخاري: كتاب الكسوف، باب: صلاة الكسوف جماعة، رقم (١٠٥٢).

فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان، ولا خروج لكم من دار الهوان، فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف، بل يكون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم، والنار من تحتهم، والنار عن أيانهم، والنار عن شمائلهم، فهم غرقى في النار، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران، وسراويل القطران، وضرب المقامع، وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقتها، ويتحطمون في دركاتها، ويضربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلي القدور، ويهتفون بالويل والعويل وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون. اهـ^(١)

* ما يستفاد من الحديث:

١- خطورة أمر الجنة والنار:

وهذه الفائدة تظهر لنا من قول رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده!» فهذا قسم شديد على نفس الصالحين، وتلك الشدة، وهذا الهمّ الكبير في هذا القسم يتضح لنا فيما جاء بعد هذا القسم

(١) (إحياء علوم الدين/٥/١٤٦) للمكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.

من قوله ﷺ: «لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فاهتم لذلك الصحابة، وثار شجونهم فسارعوا بالسؤال: وما رأيتم يا رسول الله؟

ما هذا الذي رأيته يجعلنا نُقلُّ من الضحك، ونُكثِرُ من البكاء لأجله!! فقال لهم النبي ﷺ: «رأيتم الجنة والنار»

إذًا، فأمر الجنة والنار يجب أن تهتم له النفس التوابة الأوابة، فشأنهما والله خطير وهذا يتضح فيما يأتي.

٢- صورة من نعيم الجنة:

وهذه الصورة التي تأخذ بلبِّ عباد الله الصالحين هي التي ذكرها حبيب الله ﷺ بقوله: «والذي نفس محمد بيده، لقد أدنيت الجنة مني حتى لو بسطتُ يدي لتعاطيت من قطوفها».

وهذا مما يزيد يقين المسلم بنعيم الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيعمل لها، ويأخذ بالأسباب لدخولها.

ووصف النبي ﷺ هذا النعيم الأبدي وجلّاه لنا بقوله: «إني رأيتم الجنة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا».

٣- صورة من عذاب النار والعياذ بالله:

نسأل الله العافية منها قال ﷺ: «ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم».

ولقد رأى النبي ﷺ امرأة تُعذَّب في النار في هرة ربطتها فلم تدعها تأكل حتى ماتت، فكان عقابها أن تصلى ناراً ذات لهب، لا تموت فيها ولا تحيا.

ووصف النبي ﷺ منظر هذه النار بقوله: «وأريت النار، فلم أرَ منظرًا كالיום قطُ أظفَع..».

وهذه الصورة من أقلّ وأخفّ الصور والمناظر في عذاب جهنم، فلقد سمعنا أخبارها، التي تشيب من هولها الرؤوس، وتقطع من أحوالها أفئدة عباد الله الصالحين.

❖ دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه:

قال الغزالي رحمه الله:

يا أيها الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك، فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع، إذ

قيل: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا* ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم / ٧١، ٧٢]

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه. اهـ^(١)

❖ معجزة للنبي ﷺ وعَلَم من أعلام نبوته:

وهذه المعجزة الباهرة ظاهرة من دنو الجنة له ﷺ وأيضاً دنو النار، وجميع ما أخبر به الرسول ﷺ في هذا الخبر من المعجزات الباهرات والتي هي عَلَم من أعلام نبوته.

إذ مد يده إلى قطف من قطوف الجنة وتناوله ولو أخذه لكان ما أخبر به، ورأى المرأة تُعَذَّب في النار، ورأى أخا بني الدعداع يُدفع بعضاً ذات شعبتين في النار، ورأى فيها صاحب المِخْجَن الذي كان يسرق الحاجَّ بمِخْجَنه متكئاً على مِخْجَنه في النار يقول: أنا سارق الحجيح، وهذا ثابت في هذا الحديث نفسه الذي عند النسائي.

(١) (إحياء علوم الدين/٥/١٤٦).

❖ الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان:

هذا الحديث وغيره كثير من الأدلة الدامغة والقاطعة على أن الجنة والنار مخلوقان الآن.

قال ابن القيم رحمه الله:

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبةً وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما عُلم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها..

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان. اهـ^(١)

❖ شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمة:

قال ﷺ: «ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم» وهذا يدل على رحمته وشفقته على أمة في الدنيا والآخرة ﷺ.

(١) (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح/١٩٠٨) مؤسسة أم القرى، المنصورة، مصر.

وإني والله! لأنظر إلى حوضي الآن

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر]

قال الجزائري حفظه الله:

هذه الآيات الثلاث مختصة برسول الله إذ هو المخاطب بها وأنها تحمل طابع التعزية لرسول الله ﷺ فقد روي أنه لما مات ابن النبي ﷺ القاسم قال العاص بن وائل السهمي بتر محمد أو هو أوتر، أي: لا عقب له بعده فأنزل الله تعالى هذه السورة تحمل الرد على العاص والتعزية للرسول ﷺ والبشرى له ولأمته بالكوثر الذي هو نهر في الجنة حافته من الذهب ومجراه على الدرر والياقوت وتربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج.

ومن الكوثر يملأ الحوض الذي في عرصات القيامة ولا يرده إلا الصالحون من أمته ﷺ.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ أُمِّي: خصصناك بالكوثر الذي هو نهر في الجنة من أعظم أنهارها مع الخير الكثير الذي وهبه الله تعالى لك من النبوة والدين الحق ورفع الذكر والمقام المحمود. اهـ

والكوثر هو النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض قاله ابن حجر في الفتح وهذا الحوض من خصائص نبينا عليه الصلاة والسلام ومكرماته في الآخرة ولقد ورد أن لكل نبي حوضاً، وجاء في الصحيح أنه ﷺ أخبر بوجود الحوض الآن ومن هذا ما أقسم عليه في هذا الحديث، وذلك لعظم شأن الحوض، وأهمية تعريف الأمة به، حتى يأخذوا بأسباب الورود عليه.

عن عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني، والله! لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله! ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها»^(١)

عن أسماء بنت أبي بكر: قال رسول الله ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ أناس دوني، فأقول: يا رب! مني ومن أمّتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ والله! ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم».

(١) مسلم: كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته رقم (٥٩٣٢) (نوي/١٥/٥٨).

قال: فكان ابن مُلَيْكَة يقول: اللهم! إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نُفْتَنَ عن ديننا.^(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهرائي أصحابه: «إني على الحوض، أنتظر من يرد عليّ منكم، فوالله! لَيُقْتَطَعَنَ دوني رجال، فلاقولن: أي رب! مني ومن أمي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم»^(٢)

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! ما آتية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده! لآتيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصْحِيّة، آتية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ عَرَضُهُ مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل»^(٣)

(١) مسلم: كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٥٩٢٨) (٥٩٢٩) (٥٩٤٥).
(٢) مسلم: كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٥٩٢٨) (٥٩٢٩) (٥٩٤٥).
(٣) مسلم: كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٥٩٢٨) (٥٩٢٩) (٥٩٤٥).

في يوم القيامة، يوم الطامة، يوم الحاقة، يوم القارعة، يوم تشيب فيه رؤوس الولدان، يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

في هذا اليوم العصيب يبعث الناس من قبورهم عطاشى فالشمس فوق الرؤوس قدر ميل، والعرق قد سال من الناس حتى لو أن السفن أجريت في هذا العرق لجرت.

ففي هذا اليوم، يوم العطش والمسكنة والجوع ترى العناية الإلهية بأهل التقوى والإيمان والاتباع للنبي ﷺ أظهر ما تكون في هذا اليوم شديد الحرّ والزحام، حتى إن البعض من أهل الموقف يتمنى الانطراف ولو إلى النار من هول هذا الموقف الرهيب.

يظهر النبي ﷺ وهو واقف على الحوض، يرد عليه أتباعه يشربون من حوضه ماءً أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأعذب من كل عذب، يشربون فيرتوون، فيذهب عنهم الظمأ المحموم، وعطش المكلول، فترى الناس تكاد تنقطع أعناقهم التي مالت من العطش، أما الذين لم يبدّلوا ولم يغيّروا ولم يرتدّوا على أعقابهم قد علتهم نضرة

الريّ من حوض الحبيب ﷺ، فاللهم امنن علينا بفضلك في هذا اليوم العظيم.

* ما يستفاد من الأحاديث:

١ - وجوب الإيمان بحوض النبي ﷺ وهو الحوض المورود:
ومن أنكر ذلك فهو فاسق مبتدع، وقد نفته المعتزلة، والأحاديث الصحيحة حجة عليهم.

قال القاضي عياض رحمه الله: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه، وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة.. وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرات، وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتراً. اهـ^(١)

٢ - خلاصة صفة الحوض كما في الأحاديث الصحيحة:

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في الطحاوية:

(١) (شرح النووي لصحيح مسلم/١٥/٥٣).

والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر. فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء.

وقد ورد: أن لكل نبي حوضاً، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً. جعلنا الله منهم بفضله وكرمه. اهـ^(١)

٣- اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا:

رسول الله ﷺ يقف على الحوض يتقدمنا هناك، ينتظر أتباعه وأصحابه الذين طالما نصره وآووه، وفدوه بأرواحهم، وبالغالي والنفيس، يقل الحبيب ﷺ ينتظر الذين اتبعوه وآمنوا به ولم يروه، يتلهف لسقيا الذين تمنوا رؤيته في هذا اليوم العظيم، وفي هذا المقام الكبير، يتطلع النبي ﷺ وهو على حوضه المورود إلى أمته فإذا به ﷺ

(١) (شرح العقيدة الطحاوية/ ٢٢٨) تحقيق: الألباني رحمه الله، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٩، ١٤٠٨ هـ.

يفاجأ بما يسوؤه... يرى أناساً يؤخذون ويردّون من على الحوض فيشفق الحبيب ﷺ على هؤلاء فينادي، يا رب! يا رب! متي ومتي أمتي!

فهذا شيء غير مُتوقع أن يُحجز من أمة النبي ﷺ أحد يرد على الحوض ولكنه الردّ الحاسم، الردّ الذي يُظهر الحقيقة في هذا اليوم، الردّ الذي يميّز بين الحق والباطل في هذا اليوم العظيم، فأما الزبد فيذهب جفاءً، ينادي النبي ﷺ فيقول: «أي رب! أصيحابي، أصيحابي» فيأتي الردّ للنبي ﷺ: (والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم)

وفي رواية: (إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم)

وفي رواية: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)

عندئذٍ يحيب النبي ﷺ ويقول: «سُحْقاً سُحْقاً لمن بدّل بعدي»

فاللهم إنا نعوذ بك أن نبذل، أو نغيّر، أو نرجع على أعقابنا.

٤ - معجزة وعلم من أعلام النبوة:

وهذا ظاهر من قوله ﷺ: «وإني والله! لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض».

٥- زهد النبي ﷺ:

يقول النبي ﷺ: «وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض» ومع ذلك نرى منه الإعراض التام عن الدنيا وزينتها، فلم تكن في قلبه يوماً ما، بل حذر منها، وحذر منها في عشرات الأحاديث الصحيحة والثابتة عنه ﷺ، وصور زهده وإعراضه عن الحياة والزهد العظيم فيها شيء قد استفاض عنه وعلم به القاصي والداني، وشهد له بذلك الأعداء أنفسهم.

٦- الحذر من الدنيا وزخارفها:

قال ﷺ: «وإني والله! ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها»

وقد كان ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأين هذا الذي أعرض عن الدنيا ولم ينافس فيها -إلا من رحم الله- حتى جعلها إلهه ومعبوده شعر بذلك أو لم يشعر.

فاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، اللهم آمين.

٧- من شرب من الحوض لن يظماً بعد ذلك أبداً:

قال ﷺ: «فمن شرب منه فلا يظماً بعده أبداً» وقال أيضاً في

حديث آخر: «من ورده فشرب منه لم يظماً بعدها أبداً»

وتلك منة من الله تعالى، وفضل منه عظيم، على أمة النبي ﷺ في هذا اليوم شديد الكرب والهول، أن يسقى أتباع النبي ﷺ في هذا الحر والقيظ الشديد، فتبرد جوارحهم، وتلين أعضاؤهم، وتترطب أشداقهم، فلا يقاسون ما يقاسيه الآخرون من شدة العطش، ويُنس الشفاء، وتقطع الأمعاء، فاللهم اسقنا من حوض نبينا ﷺ شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً. اللهم آمين.

٨- ليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين، وليحذر التمني الكاذب:

يقول الإمام الغزالي في الإحياء:

فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين، وليحذر أن يكون متمنياً ومغتراً وهو يظن أنه راج، فإن الراجي للحصاد من بث البذر، ونقى الأرض، وسقاها الماء، ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات، ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد.

فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ
يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن^١
وليس من الراجين في شيء.

وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى، نعوذ بالله من
الغرور والغفلة فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال
تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾^(١)
[لقمان/٣٣]. اهـ.

٩- من هم المطرودون عن الحوض المبعدون عنه؟
يقول الإمام القرطبي في التذكرة:

قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله،
أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن
الحوض المبعدين عنه، وأشرهم طردًا من خالف جماعة المسلمين،
وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين
ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون.

(١) (إحياء علوم الدين/١٤٥/٥).

وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيف والأهواء والبدع، ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد.

وعلى هذا التقدير يكون نورالوضوء يعرفون به ثم يقال لهم سحقاً، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرّون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقاً سحقاً، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يُعذب بعطش والله أعلم.

اهـ^(١)

(١) (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة/١/٣٥٠) المكتبة العصرية، بيروت.

الفهرس

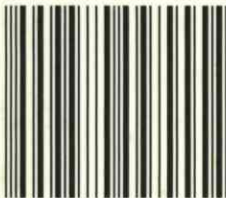
الموضوع	الصفحة
تقديم: سعد بن سعيد الحجري.....	٥
مقدمة.....	٩
الفصل الأول: مقدمة مختصرة عن الحلف.....	١٣
* وقفات مع حلف النبي ﷺ	١٥
الوقفه الأول: عظم شأن المحلوف عليه.....	١٥
الوقفه الثانية: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته:.....	١٧
الوقفه الثالثة: للمرء الحلف بدون استحلاف.....	١٧
الوقفه الرابعة: جواز تعدد صيغ الحلف.....	١٨
الوقفه الخامسة: أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله تعالى	١٨
* حكم اليمين وكفارته	١٩
* التورية في اليمين	٢٥
القسم الأول: أن يكون الحالف ظالماً.....	٢٥
القسم الثاني: أن يكون الحالف مظلوماً.....	٢٦
القسم الثالث: إذا لم يكن الحالف ظالماً ولا مظلوماً.....	٢٧
الفصل الثاني: مواقف حلف فيها النبي ﷺ.....	٢٨
* افشوا السلام بينكم	٣٣

٣٧	* شقي أو سعيد.....
٤٧	* مالي وللدنيا.....
٥١	* والله لولا أنت ما اهتدينا.....
٦١	مشاهد ومواقف وعبر ومعجزات في تلك الغزوة العصبية
٦١	١- وقت الغزوة وسببها
٦١	٢- معجزات للرسول ﷺ في غزوة الأحزاب.....
٦١	أ- إبطاره قصور الملوك وإعطاؤه مفاتيح ملكهم.....
٦٢	ب- تكثيره للطعام.....
٦٣	٣- رجل المهمات الصعبة.....
٦٤	٤- رسول الله يضحك
٦٥	٥- نصر الله رسوله بريح الصبا.....
٦٥	٦- تحول ميزان القوة بعد معركة الأحزاب.....
٦٦	* لوددت أن أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل.....
٧٤	* فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً.....
٨٦	* الإسراء والمعراج.....
٩٩	* خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
١٠٥	* بحث ماتع في خلوف فم الصائم.....
١٠٧	* إنها لتعدل ثلث القرآن.....
١١٤	* لو لم تنذبوا.....
١٢٠	* الذي لا يأمن جاره بوائقه.....
١٢٧	* رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالجار خيراً.....
١٢٨	* فوالله لأنا أعلمهم بالله.....

١٣٤	* والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه.....
١٤١	* استغفروا ربكم
١٤٢	* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
١٥١	* يا حنظلة! ساعة وساعة.....
١٥٩	* ترهيب الزوجة من هجرها لفراش زوجها.....
١٦٤	* ما يباح به دم المسلم.....
١٧٠	* لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً.....
١٧٨	* وإني والله! لأنظر إلى حوضي الآن.....
١٨٩	الفهرس.....

من إصدارات بيت الأفكار الدولية

- « تفسير ابن كثير
« تفسير الجلالين وبهامشه: تفسير آيات من القرآن الكريم
« تفسير الجلالين وبهامشه: لباب النقول في أسباب النزول
« تفسير السعدي
« التفسير للوضوعي في ظلال القرآن الكريم
- « معجم ألفاظ القرآن الكريم
« الهجوم للوضوعي آيات القرآن الكريم
« التبيان في إعراب القرآن
« القاموس المحيط
- « حقهبة الكتب الستة
« مسند الإمام أحمد
« فهرس مسند الإمام أحمد
« صحيح البخاري
« صحيح مسلم
« سنن أبي داود
« جامع الترمذي
« سنن النسائي
« سنن ابن ماجه
« كنز العمال
« اللؤلؤ
« صحيح ابن حبان
- « حقهبة الفقه
« الأم
« اللغني
« لأحلى في شرح لأحلى بلخجج والأثار
« مختصر المحلى
« فهرس لأحلى
« سبيل السلام
« نيل الأوطار
« أحكام الأحكام
« الإصناف في معرفة الرائج من الخلاف
« مختصر الفقه الإسلامي
« الفروع
- « حقهبة ابن قيم الجوزية "كتب جيب"
« إلفاف العاشقين بتهذيب روضة المحبين
« التبيان في أقسام القرآن
« الفوائد
« الطرق الحكمية في السياسة الشرعية
« جلام الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنبياء
- « حقهبة ابن رجب الحنبلي
« القواعد في الفقه
« الاستخراج لأحكام الخراج
- « أحكام الخواتيم
« أموال القبور
« الخوف من النار
« فضائل الشام
« لطائف المعارف
« رسائل ابن رجب
« شرح علل الترمذي
- « رياض الصالحين
« شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأفعال
« السند الواردة في الفتن
« حجة الوداع
« تذكرة السامع والمتكلم
« الترهيب والترهيب
« النهاية في غريب الحديث والأثر
« منظومة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم)
« والذين هم لفروجهم حافظون
« أسئلة يوم القيامة
« حكايات على أسئلة الحيوانات
« مواقف حلف فيها النبي (صلى الله عليه وسلم)
« هل أنت مستعد للصلاة
« أوراق إيمانية
« أوراق أسرية
« أوراق شبابية
« كيف جاور الآخرين
« موسوعة لطبوعات العربية
« من أشرار الساعة
« كتاب الطهارة
« كتاب الصلاة
« كتاب الزكاة
« كتاب الحج والأضحية والعقيقة
« كتاب الجنائز
« صفوة العشرة وأدب السفر
« الأنوار في سورة النبي المختار



9957212095

International Ideas Home

Jordan

P.O.Box 927435 Amman 11190 Jordan
Tel +962 6 566 0201 Fax +962 6 566 0209

K.S.A

P.O.Box 220705 Riyadh 11311 K.S.A
Tel +966 1 404 2555 Fax +966 1 403 4238

www

www.afkar.ws
e-mail:ideashome@afkar.ws

Al-Mutaman Distribution Est.

K.S.A

P.O.Box 69786 Riyadh 11557 K.S.A
Tel +966 1 243 5423 Fax +966 1 243 5421

Makkah

Jeddah

Madina

Dammam

Qusaim

Abha

U.A.E

P.O.Box 32920 Sharjah - U.A.E
Tel +971 6 743 6936 Fax +971 6 743 6937